بسم الله الرحمن الرحيم

النّوران

الزّهراء والحوراء عليهما السلام

العلوي، عادل، ١٩٥٥-   م.

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام / محاضرات عادل العلوي؛ تأليف علي الفتلاوي. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠ق. = ٢٠٠٩م.

ص٢١٦. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٣٨)

المصادر في الحاشية.

١. فاطمة الزهراء (س)، ١٣؟ قبل الهجرة - ١١ ق. السيرة. ٢. فاطمة الزهراء (س)، ١٣؟ قبل الهجرة - ١١ق. - العصمة. ٣. زينب بنت علي بن أبي طالب (س)، ٦ - ٦٢ ق. - السيرة. ألف. الفتلاوي، علي، ١٩٦٠ -   م.، معد. ب. العنوان

BP ٢٧ / ٢ / ع٨ ن٩٠١٧

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

النّوران

الزّهراء والحوراء عليهما السلام

من محاضرات الأستاذ

السّيد عادل العلوي

تأليف

الشيخ علي الفتلاوي

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغ حمده الحامدون ولا يعدّ نعمه العادّون، والصلاة على من كان دنوّه قاب قوسين أو أدنى من ربّه الأعلى، وعلى من هو نفسه، ومن هي روحه التي بين جنبيه، وعلى سبطيه، وخلفائه أئمّة الإسلام بالحقّ، وسلّم تسليماً كثيراً.

لله تعالى في كلّ آن يدٌ علينا، ومن أياديه وآلائه أن وفّقنا لكتابة محاضرات قيّمة ألقاها سيّدنا الفقيه الأستاذ السيّد عادل العلوي حفظه الله في بلاد الشام وفي جوار سيّدة الحرائر بعد أمّها، وعقيلة الطالبيين، وشريكة الإمام الثائر، وصاحبة النور الزاهر، السيدة زينب الكبرى عليها صلوات المصلّين وتحيّات العارفين، وكان مضمون هذه المحاضرات يقطر حُبّاً لفاطمة الشهيدة، وابنتها الرشيدة سلام الله عليهما ما بقي الليل والنهار، ويفوح عطراً بذكر اسمهما الشريف حيث توفّق السيد الأستاذ دام توفيقه للحديث عن سيّدة نساء العالمين، وبيّن فيه حجّيتها ومدى قربها من خالقها، فقال عنها وأحسن القول بأنّها سرّ الوجود وجامعة النورين والعلّة الغائية لعالم الإمكان، وغاص في بحر معرفتها حتّى خشينا عليه الغرق بين أمواج بحرها المتلاطم، إلاّ أنّه أثبت للحاضرين أهليّته، ودلّهم على أنه من أهل هذا الفن الذي عجز منه كثير ممّن، يدّعون العلم والمعرفة، فكان عميقاً في معرفتها وعارفاً بشخصها بأعلى درجات المعرفة الجمالية.

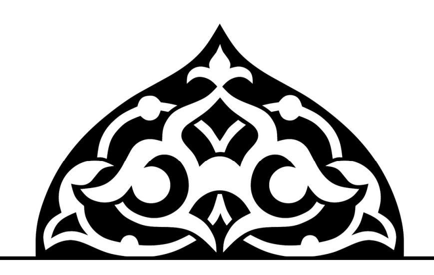
ولكي تكتمل المعرفة وتتوطّد العلاقة مع حرائر أهل بيت العصمة عليهم السلام انعطف سماحة السيد الأستاذ إلى الحديث عن الشجرة المثمرة وفخر المخدّرات وسليلة الطهر والنقاء السيدة زينب الكبرى عليها السلام ، فحلّق في سمائها ونثر لآلئه على ذكراها معرّفاً إيّانا مقامها ورفعتها وسموّ روحها وطهارة نفسها ورقيّ فكرها وسعة علمها وعصمة عملها ، فظهرت شخصيّتها لتمثّل الامتداد الطبيعي لشخصيّة أمّها الزهراء عليها السلام فأنارت دروبنا كما أنارت أمّها ظلام سبلنا.

ولكي تعمّ الفائدة وينتشر نور الزهراء والحوراء بادر صاحب السطور باستئذان أستاذه في إعادة نشر هذا العلم النافع ، لتصل هذه النعمة إلى طالبيها ، فتفضّل بالموافقة إلاّ أنّ ذلك لا يمكن إتمامه دون حصول الدعم والإسناد في طبعه وتكثيره ، فهبَّ مركز الأبحاث العقائدية في قم المقدّسة كما هو ديدنه لإنجاح المشروع الثقافي في العتبات المقدّسة بتوجيه من مكتب سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله) في قم ، لإعادة طبع الكتاب المبارك الموسوم باسم (النوران ــ الزهراء والحوراء) ليكون النشاط الرابع لمكتبة العتبة الحسينية المقدّسة في كربلاء ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم عمر العاملين المخلصين في خدمة الإسلام والمسلمين.

الشيخ علي الفتلاوي

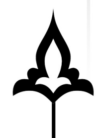
كربلاء المقدسة ـ العراق

ربيع الأول ١٤٢٨هـ



فاطمة الزهراء عليها السلام

سرّ الوجود





المحاضرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

بعد أن توفّقنا للحديث عن عصمة زينب الكبرى حبانا الله سبحانه بلطفٍ آخر حيث يسّر لنا الحديث عن الصدّيقة الكبرى وسيّدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها، من أجل إحياء أمرها بإقامة العزاء عليها في أيّام شهادتها عليها السلام، وهذا التيسير ينمّ عن وجود يد غيبيّة أرادت ذلك، وكما تمّ لنا معرفة الله تعالى ورسوله والأئمة الأطهار وعقيلتهم أمّ المصائب زينب صلوات الله عليهم أجمعين، بمعرفة جمالية، آن الأوان لمعرفة سرّ الوجود ومجمع النورين النبوي والعلوي[١]، فاطمة أمّ أبيها سلام الله عليها[٢]، بنفس تلك المعرفة ولكي يتسنّى لنا الحديث بما يليق بهذا السرّ الكوني لابّد لنا

---

(١) فاطمة الزهراء هي التي جمعت بين نور النبوة ونور الإمامة، أي أنها المرأة الوحيدة التي لها المكانة الأولى في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يدانيها أحد في ذلك لا لأنها ابنته فحسب، بل لأنها سيدة نساء العالمين والعلة الغائية للوجود، وهي التي أزهرت السماوات والأرض بنورها الذي هو من نور عظمة الله تعالى، فلا كفؤ لها من الرجال من آدم فما دون إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فزوجها الله تعالى في السماوات وقال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني زوجت النور من النور»، وأمره بتزويجها عليه عليه السلام فصارت بذلك تحمل نور النبوة ونور الإمامة.

(٢) هذه إشارة إلى الحديث الشريف الوارد في كتب الفريقين، فلقد جاء في (أسد الغابة: ج٥، ←

من مقدّمة، فنقول:

من الأسئلة التي يطرحها جميع البشر تبعاً لما في فطرتهم من حبّ الاطلاع، ولأنّ الإنسان متكوّن من بُعد مادّي وآخر مجرّد نجده يتساءل عن سرّ خلقته وفلسفة وجوده، فيسأل نفسه أوّلاً لماذا خُلقنا؟ وقبل الخوض في جواب هذا السؤال نريد أن نقول: إنّ الروحانية المجرّدة التي يحملها الإنسان تدعوه أن يهتمّ بما وراء الطبيعة، أي بما وراء المادّة والتي تسمى باصطلاح الفلاسفة (الميتافيزيقيا) فتميل به إلى معرفة سرّ الوجود وفلسفة الخلقة ويذهب متسائلاً: أإنّ علاقتي بالمادّة وقوانينها فحسب أم أنّ هناك ارتباطاً يتجاوز هذه الحدود البلهاء والمادّة الصمّاء؟ أي أإنّ لي ربّاً وإلهاً وراء المادّة أم لا؟ فيأتي الجواب من صميم الفطرة التي جُبل عليها، نعم إنّ لك إلهاً وخالقاً لا شريك له في إيجادك، ولا ندّ له في الوجود، فيشترك بهذا الجواب الفطري المؤمن والكافر على حدّ سواء وهذا لا خلاف فيه وإن تظاهر الكافر بإنكاره، فإنّه كما في قوله تعالى:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[1].

فهو جاحد لما استيقن ومنكر لما ثبت في الوجدان، فالسؤال الفطري الذي يطرحه الجميع هو: من أين؟ وإلى أين؟ وفي أين؟ وماذا يراد منّي؟ فبهذه الكلمات جُمع فيها علم الأولين والآخرين، وكلّ الكتب السماوية والأديان الإلهية جاءت لتثبيت هذا التساؤل، ومن ثمّ الإجابة عليه بجواب صريح وكلام مبين، بأنّك من الله وإلى الله تعالى، وهذا التساؤل الذي ينقدح في ذهن السائل يدعوه إلى التفكّر، ومن خلال تفكيره

ص٥٢٠) من كتب الجمهور في ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وكانت فاطمة تكنى أم أبيها اعترافا بالحديث الوارد في حقها بأنها أم أبيها سلام الله عليها، كما ورد في أحاديث أصحابنا.

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.

تتفتح له آفاق جديدة في سيره وسلوكه وعقائده وأعماله فيخرج من حالة الغفلة والسكر التي يعيشها الناس إلى حالة اليقظة والانتباه. ولو بحثنا في كتاب الله الكريم الذي نزل مهيمناً على غيره من الكتب التي سبقته، لوجدنا فيه آيات تبيّن فلسفة الخلقة وسرّ الوجود، ففي آيةٍ يبيّن سبب خلق الكون فيقول عزّ من قائل:

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١].

فسخّر لنا ما في السماوات والأرض لكي نصل إلى كمالنا، وكأنّ هذا الوجود خلق لأجل مخلوق فيه ألا وهو الإنسان[٢]، فكان العالم التكويني هو الإنسان الكبير كما كان الإنسان هو العالم الأكبر، وهذا المخلوق هو أكرم من في الوجود وأشرف المخلوقات، فلذا امتدح الخالق نفسه عندما خلق هذا الإنسان، فقال تعالى:

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[٣].

فهذا يدلّ على عظمة الإنسان وكرامته عند الله تعالى، حتّى صرّح في كتابه الكريم بهذه الكرامة، فقال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[٤].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٢. وفي هذه الآية يصرح فيقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٩).

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة، الجاثية، الآية: ١٣).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

فبترتيب هذه الآيات الكريمة التي هي كلام الحقّ سبحانه وتعالى يظهر لنا أنّ سرّ وجود الكون هو خدمة الإنسان، وإنّما استحقّ هذه الخدمة لأنّه أشرف المخلوقات وأكرمها، ولكن ما هي الحكمة من صيرورة الإنسان أشرف وأكرمه من في الوجود؟ فيأتي الجواب قرآنياً في آية صريحة تبيّن سرّ وجود الإنسان وفلسفة خلقته فيقول أحسن الخالقين:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

فاتّضح بهذه الآية الكريمة سرّ الوجود جميعه وفلسفة الخلقة لهذا الخلق العجيب. إذن وجد الإنسان ليعبد الله سبحانه، ولازم عبادة الله أن يكفر بالطاغوت، ولازم العبادة المعرفة، فقوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفون، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، فالمقصود من خلق الإنسان هو أني عرف ويتكامل ويصل إلى قاب قوسين أو أدنى من ربّه[٢]، لأنّه محبوب لربّه، وهذا ما أشار إليه الحديث القدسي:

«خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي».

فطوبى لمن عرف قد نفسه، وطوبى لمن وقف على الحقيقة فترك الغفلة وعاش في ذكر ربّه ليلاً ونهاراً.

وإنّ ذكر الله تعالى يبدأ بذكر الموت الذي هو الطريق إلى لقاء الله سبحانه، فلا ننسى هادم اللذّات[٣]، ولا نفرّ من ذكره لأنّ في ذكره حياة القلوب والخروج من الغفلة

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) إشارة إلى الآيتين القرآنيتين الكريمتين: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (سورة النجم، الآية: ٨ ـ ٩).

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات، حائل بينكم وبين الشهوات (القلب السليم: ٦٣).

واليقظة من النوم فلذا نجد الآيات القرآنية الكريمة تؤكّد هذا المعنى في أكثر من موضع في الكتاب الكريم كقوله تعالى:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

ففيها إشارة إلى نهاية المطاف، فالله تعالى هو الغاية بعد أن كانت منه البداية، فهذه الآيات الصريحة في ظاهرها والعميقة في باطنها لا تنفكّ عن ذكر المنتهى ولا تقصر في بيان السلوك إلى الله تعالى، فآية تتكلّم عن المنتهى فتقول:

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[2].

وآية تبيّن حركة وسير الإنسان فتقول:

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[3].

فإذن لابدّ من لقاء الله تعالى، فإذا أيقنت النفس بذلك فما عليها إلاّ أن تعدّ العدّة ونتأهّب لهذا اللقاء، ولا يضيع العمر هباءً منثوراً، فإنّ في عدم التأهّب وإعداد العدّة خوفاً ورهبة[4]، وفي ذكر الموت والتهيّؤ للقاء خالق الموت والحياة اطمئناناً للقلوب واطمئناناً للنفوس، فتصل النفوس إلى درجة الاطمئنان العليا[5]، وهي اليقين بالفوز

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤٢. وآية تقول: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (سورة الشورى، الآية: ٥٣). وهناك آية أخرى تقول: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (سورة فاطر، الآية: ١٨).

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٤) ولذلك نجد الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه: «أستجير يا ذا العفو والرضوان من الظلم والعدوان ـ إلى أن يقول: ـ ومن انقضاء المدة قبل التأهب والعدة» (مفاتيح الجنان: ٢٣).

(٥) هذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ (سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٢٨).

وأنّى لنا ذلك ونحن بعد لم نصل إلى درجة أصحاب اليقين، ولكنّ لنا عزاء في حبّنا للنبيّ وأهل بيته الأطهار مع شيء من العمل اليسير، فنرجو الله تعالى بذلك وتفرح لحبّنا لهم عليهم السلام فنكون كما قال هذا الرجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله، ليس لي عمل صالح إلاّ الشهادتين وحبّك، فقال له الرسول:

«أبشر بالجنّة، فإنّ المرء مع من أحبّ».

فلما سمع المسلمون ذلك فرحوا فرحاً لا يدانيه إلاّ فرحهم بالإسلام[1]، فالحبّ لأهل البيت عليهم السلام فيه ينال المحبّ أعلى درجات الجنّة إذا اقترن بالعمل الصالح، لأنّ الأخبار الشريفة تؤكّد هذا:

«كذب من زعم أنّه يحبّنا ولا يعمل بأعمالنا».

لأنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع كما يروى هذا القول للإمام الصادق عليه السلام، ثم في قول أحدهم:

«عجبت لمن يدّعي حبّ الله كيف يعصي الله؟»[2].

إلاّ أنّ الحبّ كلّي تشكيكي وله مراتب، فلذا نجد شخصا محبّاً إلاّ أنّه يعصي الله تعالى، فحبّه هذا في أوّل مرتبة من مراتبه، ولكن كلّما ازداد حبّاً ازداد عملاً لرضا المحبوب، لرضا الله تعالى ورسوله وأهل بيته وفاطمة الزهراء عليها السلام.

فعندما نقف أمام آيات القرآن الكريم نجد آية تتكلّم عن التسخير أي عن الرحمة الإلهية، وآية أخرى تتكلّم عن تحصيل العلم:

---

(١) ورد في حبهم عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة، (كشف الغمة: ١، ٨٩). عن مسند أحمد بن حنبل: ١، ٧.

(٢) وحديث آخر في معناه عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أحبّ الله من عصاه» (قصار الجمل: ٢، ٤٠).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[1].

وآية أخرى تتكلّم عن عبادة الله سبحانه، ففي هذه الآيات الثلاث تتبيّن فلسفة الخلقة الكونية، ولكنّ العبادة التي ذكرت في الآية:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

المراد منها المعرفة لأنّ المعرفة تدلّ الإنسان على العمل، وتدعوه إلى أنواع العبادات والتي على رأسها الدعاء، فلذا يذكرون أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان رجلاً دعّاءً[3]، لأنّ الدعاء مخّ العبادة[4]، كما ورد في الحديث الشريف، فالعبادة هي الطريق إلى الله تعالى، ولا يفتح هذا الطريق إلاّ بالمعرفة والعلم لأنّ الجهل يقصم الظهر كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«قصم ظهري اثنان: جاهل متنسّك فإنّه يغرّ الناس بجهله...»[5].

فالعبادة مع العلم هي التحليق في سماء الفضائل حتّى يصل بها المرء إلى ربّه، فيكون قاب قوسين أو أدنى دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى، فبالإيمان والعمل الصالح يكون السلوك إلى الله تعالى.

وهناك أكثر من سبعين آية يقرن ربّ العالمين بين الإيمان والعمل الصالح، وبهذا

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام: «قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعاء» (أصول الكافي: ٢، ٤٥٧).

(٤) هذه إشارة إلى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدعاء مخ العبادة» (الوسائل: ٢، ١٠٨٧).

(٥) نهج البلاغة، قصار الجمل.

يقول سبحانه إنّه لا يكفي المرء أحدهما، فلابدّ من الإيمان والعمل معاً، حتّى نجد هذا المعنى أيضاً جليّاً في الحديث الشريف:

«العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل»[١].

أي أنّ العمل وحشي إن تركته يمشي، فبالرحمة الإلهية يتمّ هذا، فلذا نجد الأسماء الحسنى جميعها معاني للرحمة، إلاّ بعض الأسماء التي تعبّر عن الغضب الإلهي كاسم المنتقم والقهّار وغيرهما، ولكن التي تعبّر عن الرحمة كثيرة كاسم الودود، الحنّان، الشفيق، اللطيف... وغيرها من الأسماء التي بها أراد الله تعالى الخير لعباده، وأراد لهم سعادة الدنيا والآخرة، وأراد لهم الكمال[٢]، ومن كماله أن يظهر كماله، ولنا شاهد بالوجدان على ذلك، فإنّه عندما نرى شخصاً يتّصف بصوت جميل تجده فطرياً يظهر هذا الصوت الجميل، إمّا بصوت الرحمن فيتلو به القرآن، وإمّا بصوت الشيطان فيطلقه في الغناء، وكلّ مراده هو إظهار كمال صوته، فكذلك تعالى له الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول، فلا يليق بكماله المطلق إلاّ أن يظهر كماله، وإلاّ لزم النقص وهو تعالى منزّه عنه، فمن كمال الكمال ظهور الكمال وإظهاره، ولهذا جاء في الحديث مع غضّ النظر عن المناقشة في سنده ودلالته:

«كنت كنزا مخفيّاً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف».

فحبّه للمعرفة لكماله المطلق، وهذا يسمّى بسرّ الخالق إن صحّ التعبير، وأمّا سرّ المخلوق فهو عبارة عن الرحمة الإلهية والعلم والعبادة، فخلقه تعالى للخلق كافّة هو من باب الكمال لا للاحتياج، فيندفع الإشكال في ذلك، فخلق الخلق لأنّه فيّاض لا

---

(١) قصار الجمل للمشكيني: ٢، ٥٩.

(٢) أي أنّه تعالى هو الكمال الحق الذي لا نهاية له ولا حد ولا مقيد بقيد، كما أن له كل الكمال، وكل كامل غيره ناقص.

لحاجته للمظهر والمعرّف، وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة وهو من توحيد الصدّيقين:

«ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يستدلّ به عليك، أنت الذي دللتني عليك»[١].

فبالله أعرف الله تعالى، أي بالعلّة أعرف المعلول لا بالمعلول أعرف العلّة[٢]، فظهور الخلق من الله تعالى لوصول المخلوقات إلى كمالها، فهذه المخلوقات تسبّح بحمده فهي في مقام الجلال، وتحمده فتكون في مقام الجمال، فقولنا في سورة الحمد (فاتحة الكتاب الكريم) الحمد لله: أي له الثناء كلّه وله الحمد كلّه، فهو المستحقّ لذلك، لأنّه الجمال المطلق ومطلق الجمال وأنّه يحب الجمال، وهذا معنى قول العقيلة زينب الكبرى عليها السلام حينما قالت في جواب ابن زياد اللعين عندما أراد أن يجرح شعورها ويقرح قلبها: (كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ الحسين) فقالت: (ما رأيت إلاّ جميلاً)، فإنّ قتل الحسين وإخوته وأولاده وأصحابه حينما ينسب إلى الله تعالى فهو جميل، و حينما ينسب إلى يزيد فهو قبيح، فالخلق عاشق لربّ العالمين على حدّ تعبير صدر المتألّهين في الأسفار[٣]، فالكون في حركة كمالية والله تعالى يفيض فيضه على الخلق كلّه سواء كان كافراً أم مؤمناً، فإنّه تعالى يعطي الجميع ومثله تعالى عن ذلك: (مثل الفلاح الذي يسقي الشجر ومراده الثمر، ولكن يشرب كلّ ما في الأرض حتّى الحشائش غير المقصودة بالذات)، فالكون بمنزلة بستان الله تعالى ومراده من هذا البستان أشجار معدودة، ولكنّ الرحمة الإلهيّة تنال الجميع.

---

(١) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام (مفاتيح الجنان: مقطع من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة).

(٢) هناك معرفتان: معرفة للعلّة من خلال المعلول ويسمى هذا بالبرهان اللمي، ومعرفة المعلول بالعلة ويسمى بالبرهان الإني.

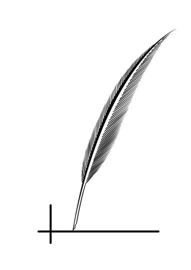
(٣) الأسفار: ٧، ١٤٨.

فالشجرة المحمّدية[١] والدوحة العلوية هي التي تستحقّ الفيض الإلهي ومن يسير على نهجهم، وباقي الناس كالحشيش يطؤه المارّة بأقدامهم (عليٌ الدر والذهب المصفّى وباقي الناس كلّهم تراب)، فالذي يستظلّ بهذه الشجرة هو الذي فكّر وعرف الحقّ، وصار تفكيره في ساعة خيراً من عبادة سبعين عاماً، فبالتفكّر تفتح الآفاق الجديدة، وبالتأمّل تذهب الغفلة، وبالتعقّل يذكر الإنسان ربّه.

---

(١) هذه إشارة إلى الحديث الذي صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكره الشهيد نور الله التستري في الجزء الخامس، الصفحة ٣٥٦. وذكر الحديث عن كتب العامة كما في المستدرك للحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي فليراجع إلى إحقاق الحق: ٥، ٢٥٦.

ونصّ الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي: «يا علي، الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة...».



المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة:

لقد ورد في الحديث الشريف المعروف بحديث المعراج:

«يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[1].

فالحديث عن المعاني السامية والمضامين العميقة في هذا الخبر الشريف إنّما يحتاج إلى مقدّمات حتّى يتبيّن من خلالها معنى هذا الكلام الأقدس، ويتبيّن أيضا مدى تطابقه مع الدليل العقلي فضلاً عن الدليل النقلي. ومثل هذا الحديث قد يثير التساؤلات الكثيرة في نفوس الذين لا يستطيعون هضم هذه المعاني.

فلذلك نصح بعض الأعلام أن لا تطرح مثل هذه العناوين، ولكنّي ذكرت له من الحجج التي تدفعني إلى التعريف بمقامات أهل البيت عليهم السلام ولابدّ من معرفتهم بمعرفة جمالية، وفي هذا يتمّ لنا بيان ما لدينا من عقائد حقّة مبنيّة على الأدلّة العقلية والنقلية، ولا يهمّنا الردود السلبية التي تصدر من البعض فإنّها لا تشكّل مانعاً شرعيّاً[2]، فهي غاية ما تكون اتّهامات لا معنى لها ولا تستحقّ الردّ.

---

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر، بقلم سيدنا الأستاذ دامت إفاضاته.

(٢) مراد السيد الأستاذ أن هذه الردود لا تمنعنا لأنها لم تكن موانع أو نواهي قال بها الشرع المقدس، وإلا لو كانت كذلك لكان حراماً علينا مخالفتها.

وعلى كل حال لا أريد أن أشغلكم بهذا، فإنه من المسلّم أن من يزداد معرفة يزداد كمالاً وخضوعاً وأدباً، فلو دخل علينا رجل كبير السنّ فإنّنا نحترمه ونوقّره من باب «وقّروا كباركم»، وإذا عرفنا أنّ هذا الرجل الكهل هو أحد مراجع التقليد فإنه بلا شكّ يزداد احترامنا وتوقيرنا له ومحبّتنا فيه وإطاعتنا إيّاه، ومن هذا المنطلق من عرف النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام بمعرفة جمالية، فإنه يزداد مودة وتعظيما وإطاعة، فيفوز بسعادة الدارين. فاليوم نتكلم عن سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا من وحي المناسبة[1]، ولأنّ محبّيها يعيشون أحزان ذكرى شهادتها فنقول:

ثبت في محلّه أنّ الله سبحانه حكيم وعليم وقادر وجواد وحيّ، وله الأسماء الحسنى والصفات العليا، وإنّه الكمال المطلق، فلكلّ هذا خلق خلقاً، وخلق أرضاً وسماءً وما فيهما وما بينهما عن حكمة وعلم، فلم يكن خلقه لهذا الكون الكبير عبثاً.

فإذن لابدّ أن نعرف سرّ هذه الخلقة، ونوجز هذا القول بكلماتٍ قصيرة فنقول: إنّه تعالى خلق الكون لنا وخلقنا لأجله، فنراه سبحانه قد سخّر لنا ما في السماوات وما في الأرض، لكي نصل إلى كمالنا الذي هو عبادة الله تعالى، فلذلك قال في آية من آيات الكتاب العزيز:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

---

(١) اختلفت الروايات والأقوال في يوم شهادة الزهراء عليها السلام، فقيل: أربعون يوما بعد رحلة الرسول الأعظم، وقيل: خمسة وسبعون يوما، وقيل: خمسة وتسعون يوما، وإحياء لأمرهم عليهم السلام يقام العزاء الفاطمي لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع على الأقوال الثلاثة، وكانت محاضرات سيدنا الأستاذ دام ظله في سوريا على القول الأول.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

ثم بيّن سرّ خلقة الإنسان بقوله عزّ وجل :

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

أي ليعرفونِ.

فإذن لابدّ لنا من عبادة المنعم لنتكامل بهذه العبادة، إلاّ أنّ هذه العبادة على أقسام؛ فمنها عبادة الأحرار؛ ومنها عبادة التجّار؛ ومنها عبادة العبيد[٢]، ولكن كلّها تؤدّي إلى كمال الإنسان، فالإنسان يتكامل وكلّ شيء في عالم الوجود ما سوى الله تعالى في سر تكاملي، فالنواة تتكامل حتّى تصير شجرة مثمرة والنطفة تتكامل، فكلّ ما في الطبيعة يتكامل، إلاّ أنّ كماله محدود ببداية ونهاية، إلاّ الإنسان فإنّ له بداية ولا نهاية لكماله، لأنّ منتهاه هو الله ومقام الفناء فيه سبحانه وهو لا نهاية له :

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[٤].

فالإنسان باعتبار جسده وأنّه من الطبيعة ومن التراب فهو محدود، ولكن باعتبار روحه وأنّه من السماء :

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٥].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) هذه إشارة إلى الحديث الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة» (أصول الكافي: ٢، ٨٩). وهناك حديث مثله لأمير المؤمنين يذكر فيه كلمة (تجار)، ولا فرق لأن المعنى واحد.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

فهو بلا نهاية.

فالروح تتكامل، وهي من الله تعالى وإليه ترجع.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

سؤال: ما هو كمال الإنسان وبأيّ شيء يتكامل؟.

يأتي الجواب من الإمامين الصادقين عليهما السلام:

«الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، والتقدير في المعيشة»[2].

ولازم هذا الكمال الحركة أي أنّ كلّ شيء يتحرّك في ذاته كما يتحرّك في الخارج بحركة وضعيّة أو انتقالية فهذه الحركة الذاتية تسمّى بالحركة الجوهرية كما حقّق ذلك الفيلسوف الإسلامي صدر المتألّهين.

فإذن كلّ شيء يسبّح بحمده وهذه هي الحركة التكاملية للأشياء، فلازم التكامل الحركة، وثمرة الحركة هو التكامل، وعندما يقول الإمام عليه السلام:

«الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة والتقدير في المعيشة».

فهو يشير إلى ثلاث حركات: علمية وأخلاقية واقتصادية، أي حركات دينية ودنيوية لأنّ هناك ترابطاً بين الدنيا والآخرة، ففي هذا الحديث يتّضح لنا أنّ الدنيا هي متجر أولياء الله تعالى ومزرعة الآخرة، بل هناك من يجعل الدنيا هي الجنّة لأنّ نفسه تيقّنت بالفوز فهو قد وصل إلى علم اليقين وحقّ اليقين وعين اليقين[3]، ومعنى هذا أنّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) قصار الجمل للمشكيني: ٢، ٥٥.

(٣) هذه المراتب ذكرت في كتب الأخلاق، فكان أول هذه المراتب مرتبة علم اليقين وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع كيقينك بوجود النار من مشاهدة الدخان، والمرتبة الثانية: عين اليقين، وهو ←

الكمال والسعادة لا ينحصران في الآخرة فقط ولا بالدنيا فقط بل بهما معاً، فإن قال قائل: إنّ أحاديثَ كثيرة وردت في ذمّ الدنيا، نقول: وهناك أحاديث أخرى وردت في مدح الدنيا، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما يسمع رجلا يذمّ الدنيا، أجابه:

«ويلك، لمَ تقدم الدنيا، إنّ الدنيا متجر أولياء الله»[1].

أي يمكن الوصول إلى الله تعالى من خلال الدنيا، فالغني بغناه وجوده، والفقير بصبره وعفّته، وإذا أردنا الجمع بين روايات الذمّ وروايات المدح نقول: إذا أراد الإنسان الدنيا على نحو الاستقلال فهذه دنيا مذمومة، وهي التي أبغضها الله تعالى على لسان نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله:

«حبّ الدنيا رأس كل خطيئة»[2].

مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن ومثاله التيقن بوجود النار عند رؤيتها عيانا، وأما المرتبة الثالثة وهي حق اليقين وهو أن تحصل وحدة معنوية بين العاقل والمعقول ومثاله الحسي اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق.

(١) وتكون الدنيا متجرا لأولياء الله تعالى عندما يتخذونها قنطرة للعبور إلى الجنة وعندما يتخذونها مزرعة للآخرة، بل إن العمل الصالح لا يكون إلا في الدنيا لأنها دار التكليف، وبالعمل الصالح يكون الدخول إلى الجنة أو الخلاص من النار أو الارتزاق بلقاء الله تعالى، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الصف، الآيتان: ١٠ـ١١). وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كنت في تجارتك وحضرت الصلاة فلا يشغلنك عنها متجرك» والمتجر هو مكان التجارة، أي عليك أن تعمل في المتجر الحقيقي وأن تعمل بالتجارة الحقيقية الرابحة وإلا لو كان متجر الدنيا وتجارة الدنيا هو الحق لما أمرنا الإمام عليه السلام بعدم الانشغال في متجر الدنيا. وهناك كلام كثير لو أردنا أن نؤلف فيه فصلا لتم لنا ذلك.

(٢) العمل النافع: ١٥٨. وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة، ومفتاح كل سيئة، وسبب إحباط كل حسنة» (إرشاد القلوب: ٢١).

وجُعل بغض الدنيا من علامات محبّي أهل البيت عليهم السلام ، وهذا ما صرّح به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :

«ألا ومن أحبّ أهل بيتي فله الجنّة، ألا إنّ لمحبّيهم عشرين خصلة، عشرة منها في الدنيا وعشرة في الآخرة... إلى أن يقول: وتاسعها بغض الدنيا وعاشرها السخاء...»[1].

وأمّا إذا أراد الدنيا طريقاً إلى الجنّة ومزرعةً للآخرة فلا بأس بذلك ، فالدنيا والآخرة ضرّتان في حالة الاستقلالية[2] ، وأمّا إذا كانتا على نحو المقدّمية والتبعية فلا خوف ولا ضرر فيها.

فهناك ـ أيها الإخوة ـ من يعيش الآخرة وهو في هذه الدنيا وهذا ما حصل لأمير المؤمنين عليه السلام ، فلذلك يقول :

«جلوسي في المسجد أحبّ إلي من جلوسي في الجنّة».

ولّما سئل : لماذا؟

قال : لأنّ الجلوس في المسجد رضا ربّي ، والجلوس في الجنة رضا نفسي ، ورضا ربّي أولى من رضا نفسي ، فعلى هذا يكون المسجد جنّة أمير المؤمنين عليه السلام ، ودخوله فيه يعني دخوله في جنّته ، وهناك روضات من الجنّة في الدنيا والداخل إليها داخل إلى الجنّة ، كما جاء في الخبر : إن قبر الإمام الرضا عليه السلام روضة من رياض الجنّة ، وكذلك ما بين

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق والمواعظ العددية باب العشرين.

(٢) ورد حديث شريف يبين أن الدنيا والآخرة ضرتان كما في قصار الكلمات (نهج البلاغة). ومراد سيدنا الأستاذ بأن حالة التنافس لا تحصل ولا يكون هناك نزاع بين الضرتين إلا إذا فضل صاحب الضرتين إحداهما على الأخرى، أي تعامل مع إحداهما بشيء من الاستقلال والميل بحيث يؤدي إلى الإضرار بالأخرى. ويؤيد هذا الكلام قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب دنياه أضر بآخرته» (الوسائل الباب ٦١، الحديث ٥٠/ (عن قصار الجمل للمشكيني: ١، ١٣٢).

منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وداره، فهذه روضات حقيقية لا مجازية، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام[(١)].

سؤال في محلّه:

ذكر الحديث عن الإمامين عليهما السلام يوحي بوجود ترابط بين التفقّه بالدين والصبر على النائبة والتقدير في المعيشة فما وجه هذا الترابط؟

الجواب:

الكمال يبدأ بالحركة الاقتصادية، لأنّها العون في تحقّق الحركة العلمية والأخلاقية، أي أنّ من لا معاش له لا معاد له، وهكذا الأمّة إذا فقدت الحالة الاقتصادية فإنّها ستفشل في حركتها العلمية والأخلاقية، فإذن لابدّ من هذه الحركات الثلاث لتحقّق تمام الكمال.

والتفقّه في الدين يعني العلم الإلهي الذي فيه نفع الدنيا والآخرة، ولكن لهذا الفقه ولهذه الحركة العلمية مقدّمات دينية ودنيوية، فإذا أردت التكامل لابدّ من زيادة علمك حتّى تنال السعادة التي سيغبطك عليها الآخرون، كما ورد في الحديث الشريف:

«فمن كان يومه خيراً من أمسه فهو مغبوط، ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو ملعون».

---

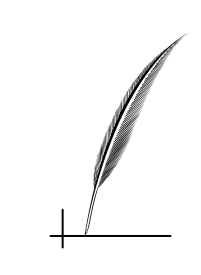
(١) جاء في الحديث الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام: «قال: إن في خراسان بقعة سيأتي عليها زمان تكون مختلف الملائكة لا تزال تهبط فيها فوج من الملائكة وتصعد فوج... إلى أن يقول: وإنها والله روضة من رياض الجنة من زارني فيها كان كمن لو زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (مفاتيح الجنان: ٤٩٦). وأما الحديث عن أن ما بين منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبره أو داره روضة من رياض الجنة فهذا أشهر من أن نكتب عنه شيئا، وهذه الروضات روضات حقيقية أي لا يكون الجالس فيها كأنه في روضة بل هو في روضة حقيقية، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله السائل: هل هذه روضة حقيقية؟ أجابه: لو كشف لك لرأيت ذلك.

أي مطرود من رحمة الله تعالى.

فعليك بملازمة العلماء والحضور في مجالسهم، وإلاّ سينالك الخذلان كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي:

«أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني».

وهذا الخذلان يصيب الفرد البعيد عن مجالس العلماء، وكذلك يصيب المجتمع الذي استهان بالعلم والعلماء، فيصاب عندها بالتخلّف والأمراض الاجتماعية.



المحاضرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة:

ما زلنا وإيّاكم في رحاب سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام لِنُتِمَّ الحديث عن كونها سرّ الوجود، بل هي سرّ السرّ، وإنّها جمال الله وعصمته الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

لقد مرّ علينا في الأبحاث السابقة أنّ فلسفة الحياة وسرّ الخلقة والوجود سيّما خلقة الإنسان هو التكامل ونيل الرتبة التي وضعت لهذا الموجود الأشرف، كما ذكرنا أنّ الكمال كلّ الكمال هو التفقّه في الدين، وعبّرنا عن ذلك بالحركة العلمية، ثمّ يتلوه الكمال الآخر وهو الصبر على النائبة وعبّرنا عنه بالحركة الأخلاقية، بجعل الصبر أساس الأخلاق، وآخره الاقتصاد في المعيشة، وعبّرنا عن الأخير بالحركة الاقتصادية.

ولو أردنا تسليط الضوء على الحركة الثانية التي هي الحركة الأخلاقية فلابدّ من القول بأن الصبر أساس الأخلاق وبه يتمّ طيّ المراحل الأخلاقية الثلاث التي هي التخلية والتحلية والتجلية ـ كما عند علماء الأخلاق والسير والسلوك ـ، ليصل المرء إلى تهذيب النفس وكمالها، فلابدّ من تخلية الروح والقلب من الصفات الذميمة كالرياء مثلاً، وتحليتهما بالصفات الحميدة كالإخلاص في مقابل الرياء، ثمّ تجلية هذه الصفة حتّى يصل الإنسان إلى درجة المخلَصين ليكون بعيداً عن وسوسة الشيطان وتزيينه، الشيطان

الذي تعهّد بإغواء جميع البشر، إلاّ العباد المخلَصين حسب تعبير الآية القرآنية الكريمة:

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

فإذن أبدى الشيطان استعداده لإغواء الجميع حتّى طبقة المخلصين، ولكنّه عبّر عن عجزه من أن ينال الطبقة الرفيعة التي هي طبقة المخلَصين[2].

فلابدّ من الوصول إلى تلك الرتبة الأخلاقية العالية وذلك بطيّ مراحل الإخلاص التي لا تتمّ إلاّ باجتياز المراحل الأخلاقية الثلاث التي أساسها الصبر، الذي يتجلّى في النوائب والمصائب، وإنّه من أكمل مصاديق الصبر.

ثمّ لو أردنا التحرّك في الحركة الثالثة التي هي الحركة الاقتصادية والتي عبّر عنها في الحديث الشريف:

«والتقدير في المعيشة».

لابدّ لنا من اتخاذ الحدّ الوسط في طريقة العيش، لكي نبتعد عن الإفراط والتفريط، وهذا معنى الاقتصاد فإنّه لغة من القصد بمعنى الحدّ الوسط.

فهذه هي الحركة الثالثة التي يحتاجها الإنسان للوصول إلى كماله الذي هو هدف وجوده وسرّ خلقته.

وأرجأنا الكلام عن الحركة العلمية التي هي الحركة الأولى في سلّم الكمال، لكي يكون البحث فيها بشيء من التفصيل، فنقول:

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩ ــ ٤٠. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣).

(٢) طبقة المخلصين ـ بكسر اللام (اسم الفاعل) ـ: هم الذين أخلصوا لله تعالى قولا وفعلا ونية، وطبقة المخلصين ـ بفتح اللام (اسم مفعول) ـ هم الذين استخلصهم الله تعالى لنفسه بعد أن تحلوا بالإخلاص وعلم منهم ثباتهم عليه طول حياتهم.

إنّ كمال الإنسان في الرتبة الأولى هو تحصيل العلم، ومحور هذا العلم هو التفقّه في الدين الذي يبتني على أصول خمسة كما هو معتقد الشيعة وفروع عشرة[١]، ومن هذه الأصول الخمسة التي يجب الاهتمام بمعرفتها أصل الإمامة، وممّا يبحث في هذا الأصل هو الاعتقاد بأنّ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود.

والذي نبغيه من هذا البحث الولائي هو إثبات العقيدة الصحيحة بالبرهان العقلي والدليل النقلي، ثمّ العمل على ضوء هذه العقيدة الصحيحة، لأنّ الحياة عقيدة وجهاد، ولا يصحّ الجهاد من أجل عقيدة فاسدة، فلابدّ من إثبات صحّة هذه العقيدة وتثبيتها، فما ذكرناه كان من المقدّمة للحديث عن فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام. فالحديث عن الخبر الشريف:

«لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما».

يحتاج إلى مقدّمة، فنقول:

إنّ الوجود أمر بديهي لا يحتاج إلى تعريف، وما ذكر له من تعاريف بأنّه الثابت العين أو الذي يمكن أن يخبر عنه أو ما ينقسم إلى علّة ومعلول أو قديم وحادث وغير ذلك فهو من باب شرح الاسم[٢]، فهو بديهي ولشدّة بداهته تجده في غاية الخفاء كما في

---

(١) أصول الدين خمسة حسب ما يعتقده الشيعة، وهذا القول في قبال من يعتقد أنها ثلاثة، فلذلك يذهب البعض من العلماء إلى تسميتها بأصول المذهب، والحق أنها أصول للمسلمين جميعا، ولكن رفض بعض المسلمين أن تكون الإمامة من الأصول وجعلها فرعا من فروع الدين كما أنه رفض تسمية العدل الإلهي أصلا لشبهة في أذهانهم، ولهذا صارت عندهم ثلاثة. وقد ذهب إلى هذا المعنى السيد الأستاذ في دروس اليقين في معرفة أصول الدين ـ المجلد الأول من موسوعته الكبرى (رسالات إسلامية)، فراجع.

(٢) توضيح هذا الكلام مفصلا في بداية الحكمة للعلامة الطباطبائي في المرحلة الأولى من الكتاب في الفصل الأول، الصفحة ١٠.

منظومة السبزواري[١].

فعندنا الموجود هو ذات، أو قل: ماهيّة ثبت لها الوجود، كالإنسان فإنّه ذات ثبت لها الوجود فيسمّى موجوداً.

فإذن هناك فرق بين الوجود وبين الموجود، ثمّ إنّ الله تعالى علّة العلل والعلّة الأولى للكون، فهو الأوّل وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن، أزلي سرمدي.

وسأوضح هذا لأنّ فيه شيئا من الصعوبة لوجود هذه المصطلحات الغريبة على البعض، ولكن لابدّ من الثقافة، لأنّ المجتمع الشيعي هو الأجدر بمثل هذه الثقافة، فأقول: إنّ العلل على أربعة أقسام[٢]، وقبل معرفة هذه الأقسام لابدّ من معرفة العلّة، فالعلّة هي الشيء الذي يؤثّر في شيء آخر، وهذا الشيء الآخر المتأثّر يسمّى المعلول، مثلاً (النار والحرارة)، ولا ينفكّ المعلول عن علّته إلاّ بمعجزة فيما إذا كانت العلّة ناقصة[٣] وليست تامّة كما ينفك في النار التي أشعلها النمرود لنبيّ الله إبراهيم عليه السلام، فإنّها صارت عليه برداً وسلاماً بالمعجزة، والآن نقول: إنّ العلل أربع: علّة فاعليّة، وعلّة مادّية، وعلّة صورية، وعلّة غائية[٤]، وأقرّب لكم هذا بالمثال:

---

(١) ورد في منظومة السبزواري عن مفهوم الوجود هذا البيت من الشعر:

مفهومه من أعرف الأشياء   وكنهه في غاية الخفاء

الصفحة ٤ من المنظومة.

(٢) تنقسم العلة إلى أقسام متعددة بلحاظ جهات مختلفة، فمن تقسيماتها أنها تنقسم إلى علل داخلية وتسمى (علل القوام)، وهي المادة والصورة المقومتان للمعلول، وإلى علل خارجية وتسمى (علل الوجود) هي الفاعل والغاية، وربما سمي الفاعل (ما به الوجود) والغاية (ما لأجله الوجود).

(٣) العلة التامة هي التي يصدر عنها المعلول من دون أن يقل من العلة شيء كشاعرية الشاعر وتكلم المتكلم، فيصدر الكلام منه من دون أن ينقص من علته شيء، بخلاف العلة الناقصة.

(٤) العلة الفاعلية: هي التي تفيض وجود المعلول وتفعله، العلة الغائية: وهي الكمال الأخير الذي ←

(إنّ هذا الكرسي الذي نجلس عليه يحتاج إلى أربع علل: الأولى تسمّى العلّة الفاعلية أي التي فعلت الكرسي وصنعته وذلك هو النجّار، والعلّة الثانية هي العلّة المادية أي المادة التي صنع منها الكرسي، والعلّة الثالثة هي العلّة الصورية أي الصورة التي يكون عليها الكرسي لكي يمتاز من غيره، والعلّة الرابعة هي الغائية أي التي من أجلها صار الكرسي).

وهكذا الكون الرحب الوسيع الذي يقع الإنسان ضمن مجموعته، فإنّ العلّة الفاعلية له هو الله تعالى، وإنّه تعالى الخالق لهذا الخلق، وإنّ أوّل ما خلق نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ اشتقّ منه نور علي عليه السلام واشتقّ منهما نور فاطمة عليها السلام ثم الأئمة عليهم السلام فشيعتهم من الأنبياء والأوصياء والأولياء والمؤمنين، وهذا الحديث ثابت عندنا كما في كتاب (بحار الأنوار) وهو مذكور في كتابنا (هذه هي الولاية)[1].

والعلّة هي عبارة عن وجود المقتضي وعدم المانع وأضيف إليهما تحقّق الشرائط ووجود المعدّ.

فالصادر الأوّل لله تعالى هو نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وببركته خلق هذا الكون، وهذا المعنى موجود في الفلسفة المشائية والاشراقية، معاً، فإنّ المشائيين يقولون بالعقول العشرة أي أنّ العقل الأوّل باعتبار وجوده وماهيّته خلق العقل الثاني والفلك الأوّل، وهكذا حتّى يصلوا إلى العقل العاشر، وهو العقل الفعّال المدبّر لهذا الكون الطبيعي، كما أنّ الإشراقيين يقولون: إنّ الله تعالى صدر منه العقل الأوّل ثمّ أرباب العقول لهذا

يتوجه إلى الفاعل في فعله، العلة الصورية: هي الصورة للشيء وهي تشترك في تركيب الشيء مع العلة المادية التي هي مادة الشيء.

(١) المجلد الخامس من الموسوعة الكبرى (رسالات إسلامية)، وهذه الموسوعة عبارة عن أكثر من مائة وخمسين كتابا ورسالة بقلم سيدنا الأستاذ في مائة مجلد، طبع منها (١٢) مجلدا، والموسوعة تضم علوما وفنونا إسلامية مختلفة.

الكون[١]، إذن هم يعتقدون بالعلّة والمعلول، ولابدّ منهما في هذا الخلق لقاعدة الأشراف[٢]، فإنّ الله تعالى خلق الكائنات ببركة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام لأنهم نور واحد كما ورد في الحديث الشريف:

«أوّلنا محمد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد بل كلّنا محمد»[٣].

فهم نور واحد في الحقيقة المحمّدية والولاية الإلهية العظمى، وأمّا اختلافهم فهو في الشؤون، فكلّهم جواد، وكلّهم كاظم للغيظ، وهكذا باقي الصفات إلاّ أنّ الصفة تبرز في زمن أحدهم فيمتاز بها كما برز الجود في زمن الإمام الجواد عليه السلام فعرف به، وكذلك كظم الغيظ في زمن الإمام الكاظم عليه السلام فعرف به، وإلاّ لا فرق بينهم في مقام دون آخر، فإذن هم صنايع لله تعالى، والناس صنايع لهم، كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف:

«نحن صنايع الله والخلق صنايعنا».

ومعنى الصنعة هنا إمّا يراد منها الأدب، فأدّبهم ربّهم، وهم بدورهم أدّبوا الناس بآداب الله تعالى، ثمّ الصادر الأوّل، ثم سلسلة العلل والمعاليل، وأمّا العلّة الصورية فقد ورد في الحديث الشريف:

---

(١) يقول المشائيون إن العقول عشرة والصادر الأول هو العقل الأول ثم هذا العقل الأول أوجد الفلك الأول والعقل الثاني، وإن العقل الثاني أوجد الفلك الثاني والعقل الثالث، وهكذا حتى يصلوا إلى العقل العاشر الذي يسمى بالعقل الفعال، ويقول الاشراقيون إن في الوجود عقولا عرضية لا علية ومعلولية بينها وهي تدبر الأنواع المادية وتسمى بـ(أرباب الأنواع)، و(المثل الأفلاطونية)، وفي هذا الكلام مفصل يؤخذ من مصادره الفلسفية.

(٢) مفاد قاعدة إمكان الأشرف: أن الممكن الأشرف يجب أن يكون أقدم في مراتب الوجود من الممكن الأخس، فلابد أن يكون الممكن الذي هو أشرف منه قد وجد قبله، وهذا مرتبط بوجود العلة التي هي أشرف من المعلول فتكون قبله من حيث الوجود.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦، ٦، باب نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية.

«إنّ من دخل الجنّة سيكون على صورة النبي محمد».

وأمّا النساء فعلى صورة الزهراء، والزهراء تشبه أباها، وأمّا العلّة المادّية في عالم الأنوار، فالمؤمنون خلقوا من أنوارهم، وفي عالم الطينة من فاضل طينتهم[١]، وأمّا العلّة الغائية فنقول ما هي الغاية من خلق هذا الكون؟ الغاية هي أن يكون الإنسان الجامع لجميع صفات الله الجمالية والكمالية الذي هو النبي الأكرم أشرف خلق الله تعالى، فلذلك قال له الله تعالى في المعراج: «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك» فأنت يا أحمد صلى الله عليه وآله وسلم الغاية، وأنت سرّ الوجود، وأنت سرّ المعبود لهذا الكون، فلأجلك خُلق الكون، وأنت الجامع لصفات الله تعالى والعاكس لها، فإذا كان الله تعالى كريماً فإنّ كرمه يظهر فيك، وإذا كان ستّاراً فإنّ ستّاريته تظهر فيك، وهكذا باقي الصفات، وهذا الكلام ثابت بالعقل والعلم الحديث، وذلك عندما نرى أنّ الحركة الدائرية البسيطة لابدّ لها من مركز (قطب) كالرحى، فذلك المركز وذلك القطب الذي هو أشرف المخلوقات ليس إلاّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فلذلك صار حجّة على الخلق، وهذه الحجّية ثابتة لمن يليه في المسؤولية[٢]، ولكن من هو الذي يليه؟ فنقول: إنّ الذي يليه لابدّ أن يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو العلّة الغائية لابدّ أن يكون له معلول يشترك معه في الغاية، ولابدّ أن تكون سنخية بينهما بموجب قاعدة السنخية[٣]،

---

(١) أصول الكافي: ٢، ٥، باب طينة المؤمن والكافر.

(٢) مراده حفظه الله تعالى في المسؤولية ليس هي الخلافة الحكومية بل مراده إيصال الناس إلى المطلوب، وهذا لا يتمّ إلا للمعصوم، علما أن الخلافة شأن من شؤون الإمامة، والإمام إمام مسؤول نائب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواءً كان خليفة أم لم يكن لأن الإمامة غير الحكومة واستلام المنصب.

(٣) قاعدة السنخية: مفادها أن يكون بين العلة والمعلول رابطة تكوينية وذاتية غير موجودة بين تلك العلة ومعلول آخر أو بين ذلك المعلول وعلة أخرى، وإذا لم تكن هذه الرابطة يلزم أن يصدر كل شيء من كل شيء.

←

ولكن لابدّ من توضيح هذا بالمثال لنقرّبه إلى الأذهان، فنقول: النار علّة للحرارة لوجود تشابه وترابط بينهما، ولولا هذا التشابه والترابط لاستحال أن تصدر الحرارة من النار، كما يستحيل صدور البرودة من النار، ولكن صدرت الحرارة من النار، إذن لابدّ من التشابه والترابط لأنّ (الطيور على أشكالها تقع) و(كلّ جنس إلى جنسه يميل)، فنرجع إلى أوّل حديثنا فنقول: إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو العلّة الغائية لهذا الكون، لأنّه هو الإنسان الكامل وهو جامع الجمع لأسماء الله وصفاته، فالمعلول الذي يكون من سنخه ومن جنسه ومن نفسه ليس هو إلاّ أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لآية المباهلة في قوله تعالى:

﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1].

فلذلك صار الحديث (لولا علي لما خلقتك) لأنّك يا رسول الله يلزمك معلول يشابهك لكي تكون أنت العلّة وليس هذا المعلول إلاّ علياً عليه السلام، فأنت يا رسول الله نور النبوّة وعلي نور الإمامة وكلاكما من نور التوحيد، فلابدّ لكما من معلول يجمع بين نوريكما وبين حجّتيكما، وهذا المعلول الذي يشبهكما وبمستواكما، ما هو إلاّ فاطمة الزهراء عليها السلام، فلذلك قال: (ولولا فاطمة لما خلقتكما)، لأنّها بطن الإمامة وصلب النبوّة، وهي روح النبوّة والإمامة، والإسلام والعقيدة، فإذن هي سرّ الوجود أو سرّ السرّ، وهي مجمع النورين النبوي والعلوي، وهي بنت النبيّ وزوجة الوصيّ.

ومن هذا المنطلق يقال: السنخية علّة الانضمام.

→ **مثال ذلك: (النار علة لوجود الحرارة للسنخية بينهما ولولا السنخية لجاز أن تصدر البرودة من النار، وهذا محال)، والسنخية علة الانضمام.**

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.



المحاضرة الرابعة



بسم الله الرحمن الرحيم

ما زال الحديث عن سيّدتنا ومولاتنا وشفيعة ذنوبنا وطبيبة قلوبنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنها من سرّ الوجود وهي من الحجج الإلهية، فلابدّ أن نعرفها بمعرفة جلالية وجمالية، ولابدّ من زيادة المعرفة؛ لأنّ الفضل لا يكون إلاّ بالمعرفة، فكلّما ازداد الإنسان معرفةً، ازداد عملاً، وازداد قُرْباً من الله تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

فرفع الدرجات في يوم القيامة لأهل العلم والمعرفة، فإذن لنعرف فاطمة الزهراء عليها السلام بما يمكننا ذلك، ولكن قبل هذه المعرفة أذكر بأنّنا قد ذكرنا معنى الوجود والموجود والفرق بينهما، كما ذكرنا دليل العلّة والمعلول، وأنّ بينهما سنخية، وبيّنا ما معنى ذلك، وأمّا الآن فنقول: إنّ قانون العلّة والمعلول أقوى من القوانين الرياضية، وهو الحاكم على كلّ هذا الكون، فبه برهنّا على صحّة كلامنا عقلاً، ولكن لكي يتّضح المطلب أكثر ويكون بلغة الجمهور سأذكر وجهاً آخر للحديث الشريف، حتّى لا يتبادر إلى الذهن أنّ عليّاً أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ فاطمة أفضل منهما، وسيكون بيان ذلك بالمثال الحسّي: الإنسان هو الجرم الذي انطوى فيه العالم المادّي الكبير والعالم

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

المجرّد الأكبر، لأنّ جسده من الأرض وروحه وعقله من السماء، فهو ذو بعدين: بُعد سماوي وبعد أرضي، وقد ركّب في بدنه عقل وروح وشهوة، وفي هذا البدن المادّي دماغ الذي هو محطّ العقل، وفيه قلب الذي هو محطّ الروح، وفيه الطحال الذي له دور في تصفية الدم الذي يذهب إلى القلب، فبدن الإنسان حيّ بدماغه ولولا هذا الدماغ لما كان له قيمة تذكر، لأنّ الدماغ هو المدبّر لبدن الإنسان، ولكن لولا القلب لما كان للدماغ دوره الذي وجد من أجله، وليس هذا يعني أنّ القلب أهمّ من الدماغ، بل إنّ الدماغ أهمّ وأشرف من القلب، ولكن للقلب دور يجعل البدن يتحرّك، ذلك البدن الذي سلطانه الدماغ ومدبّره الدماغ، ولكي يبقى البدن مستمرّ الوجود، لابدّ له من القلب، وهذا القلب الذي يضخّ الدم يحتاج إلى مصفاة تصفّي هذا الدم، وليس هناك إلاّ الطحال، فهو الذي يؤدّي هذا الدور، وهذا المثال للتقريب بالحسّ مع العلم أنّ المثال يقرّب من جهة ويبعد من ألف جهة، ولكن نريد أن نقول: إنّ هذه الأعضاء كلّ واحد منها له دوره الخاصّ، وقولنا: لولا العقل لما كان الجسد، ولولا القلب لما كان العقل، ولولا الطحال لما كان القلب، لا يعني أنّ القلب أفضل من العقل أو أنّ الطحال أفضل منهما، فليس المقام لبيان الأفضلية، فإنّ الأفضلية محفوظة بينها، وهكذا المعنى في الحديث الشريف:

«لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما».

ثمّ إنّ الإمام هو عقل عالم الإمكان أو قلبه، كما ورد في الرواية التي ذكرت محاججة هشام بن الحكم مع ذلك الرجل في البصرة عندما قال له: ما هو أثر العين؟.

قال: ننظر بها، وما هو أثر الأذن؟.

قال: نسمع بها، وما هو أثر القلب؟.

قال: نميّز به الحقّ من الباطل، فقال هشام: هكذا هو الإمام[1]، فالإمام سرّ الوجود وبه ثبتت السماوات والأرض، ولولاه لساخت الكائنات والأرض بأهلها، ومعنى سرّ الوجود أي باطن الوجود.

فلذلك يعبّر عن الخفي بالسرّ أي الباطن وليس الظاهر، وعندما نقول للميّت: قدّس الله نفسه، والنفس أمر خفي فتكون سرّاً كما يقال في المثل: (الولد على سرّ أبيه)، أي على خلق أبيه ونفسه، وهكذا أهل البيت عليهم السلام سرّ الوجود أي باطن الوجود.

أيّها الإخوة الأعزّاء: نحن الآن في عصر الغيبة الكبرى، عصر الغربلة والبلبلة والامتحان والشبهات والتشكيك، فالتزموا الدعاء لكي تنجوا من هذه الهزّات الفكرية، ولكي تبتعدوا عن الشكّ بالله ورسوله وأهل البيت سيّما صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشريف، فعليكم بدعاء الغريب الذي مطلعه: (اللهم عرّفني نفسك....) لأنّ من لم يعرف الله تعالى سوف يجهل رسول الله، ويجهل الحجّة فيقع في الضلال، فيموت ميتة الجاهلية، لأنّ من لم يعرف إمام زمانه يموت ميتة الجاهلية، فلابدّ من معرفة الحجج عليهم السلام الذين عددهم بعدد الأسباط وبعدد الحواريين، حيث إنّ عددهم اثنا عشر خليفة وكلّهم من قريش كما ورد في الصحيحين[2] عند الجمهور، فإمام الزمان هو الحجة الثاني عشر، وهو الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأبوه الإمام الحسن العسكري الحجّة الحادي عشر عليه السلام يقول:

«نحن حجج الله وأمّنا فاطمة حجة الله علينا».

---

(١) أصول الكافي: ١، ٢٢٥. فيه قصة مفصلة عن محاججة هشام بن الحكم الذي هو من أفضل أصحاب الإمام الصادق عليه السلام مع الرجل الذي كان متصدرا مجلس البصرة وهو عمرو بن عبيد.

(٢) صحيح البخاري وصحيح مسلم، فضلا عن مصادرنا.

فإن فاطمة حجّة الحجج، ولذلك قال الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه الشريف: إنّي أقتدي بأمّي فاطمة لما لها من الفضل والعظمة التي يقرّ بها جميع الأنبياء، بل هي ليلة القدر كما ورد ذلك في حديث مسند في بحار الأنوار[1]، ومذكور كذلك في تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين، ففاطمة الزهراء عليها السلام إنّما سمّيت بذلك لأنّ الناس فطموا عن معرفتها، فكيف لا تكون كذلك وهي أمّ أبيها أي مقصودة أبيها فكان يشمّ نحرها ويقبّل يدها ويقول الرسول الأعظم بعظمته وعلمه:

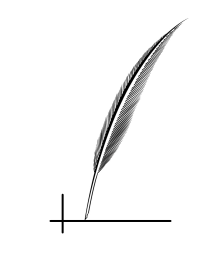
«فداها أبوها»[2].

فإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّها سرّ الوجود ولا يستقيم أمر لأحد سواء أكان عالماً أم شاعراً أم خطيباً أم أديباً إلاّ أن يقرّ بفضلها ومحبّتها وأن يعرفها بما أمكنه معرفتها، وهي التي فطم الناس عن حقيقة معرفتها، لأنّها كفؤ لعلي عليه السلام، ولا يعرف علي عليه السلام إلاّ الله ورسوله... وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الناس فطموا عن معرفتها، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢، ١٠٥.

(٢) الأمالي للصدوق: ٣٠٥، حديث ٣٤٨.



المحاضرة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة:

ما زال الحديث حول سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّها سرّ الوجود، وبناءً على أنّ الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو سرّ الوجود أيضاً، تكون فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ السرّ، لأنّ الحجة عليه السلام، هو قطب الأرض، ولولاه لساخت بأهلها وبالموجودات التي على ظهرها، ولولاه لانعدمت البركات، ولولاه لما ثبتت الأرض والسماء، وبيمنه رزق الورى. فهو إذن سرّ الموجودات، وسرّ الله تعالى في الكائنات، وعبّرنا بسرّ الله تعالى في كائناته، ولمعرفة منزلة أمّه الزهراء عليها السلام ومقامها، نستمع إلى ما يقوله الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيقول:

«نحن حجج الله وأمّنا فاطمة حجّة الله علينا».

وبهذا نعرف أن فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ السرّ للموجودات وهذا هو معنى ما ورد في الحديث الشريف: (ولولا فاطمة لما خلقتكما) كما تمّ بيان ذلك. واليوم نتحدّث عن وظيفة الإنسان الذي يعرف فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه المعرفة، وماذا يترتّب على هذه المعرفة من وظيفة شرعيّة وسلوك أخلاقي وعقيدة قلبية، فلقد تمّ الاعتماد بمقام فاطمة من خلال ما عرفناه عنها، فإذن لابدّ من العمل على أساس هذه العقيدة الراسخة في القلب، ولكي أبسّط البحث ويكون بلغة الجمهور، بعيداً عن الطريقة الحوزوية أقول:

إنّ الله تعالى كلّفنا بالاعتقاد والعمل معاً في أصول الدين وفروعه، وعند الوقوف على هذه الفروع العشرة التي هي: الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّي والتبرّي، نلاحظ أن كلّ فرع من هذه الفروع لو أردنا العمل به فسيكون على نحوين: عمل جوارحي أي ما يتعلّق بالجوارح التي هي اليد والرجل والعين والأذن وغير ذلك، فاليد تعمل والرجل تسعى وهكذا، ونحو آخر هو العمل الجوانحي أي العمل الباطني مثلاً النيّة.

«نيّة المؤمن خيرٌ من عمله»[١].

هذه من أعمال القلب وكالحبّ لله ولرسوله ولأهل البيت وفاطمة الزهراء عليها السلام فهو أيضا عمل جوانحي، وكذلك التولّي والتبرّي من أعمال القلب وتسمّى هذه الأعمال بالأعمال الجوانحيّة.

ومعنى التولّي لغةً: الاتباع بدون فاصلة بين الوليّ والمتولّى، فمثلاً عندما يركب شخص خلف آخر على فرس فيقال مثلاً: زيد ولي عمرواً، فيما إذا كان زيد خلف عمرو ولم يكن بينهما فاصلة.

وأمّا معناه اصطلاحاً: هو أن يتولّى الإنسان ربّه تعالى فيكون تابعاً لربّه سبحانه وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، أي لا فاصلة بينه وبين أوليائه، فلذلك جاءت الآيات الكريمة تبيّن هذا المعنى كما في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢]. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾[٣]. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤].

---

(١) الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نيّة المؤمن خير من عمله، ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته» (أصول الكافي: ٢، ٨٩).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

(٤) ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٥٧).

فهذه الآيات صريحة في بيان مدى العلاقة بين المؤمنين وربّهم تعالى، فالمؤمن قريب من ربّه تعالى والله سبحانه أقرب من ذلك، ثمّ يتولّى المؤمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتولّى وصيّه ويتولّى أولياء الله تعالى، فبهذا الولاء يحبّ الله ورسوله وأولياءه، ولازم هذا الحبّ الإطاعة، فنجد الآية الكريمة.

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1].

تؤكد هذا اللازم وتبيّن المصاديق التي وجبت طاعتها، ثمّ تأتي آية أخرى تحصر الولاء والحبّ والإطاعة بنفس المصاديق التي تبيّنها الآية السابقة، فتقول:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2].

فلازم الولاية الحبّ، ولازم الحبّ الإطاعة، وهذا كلّه عمل قلبي جوانحي، ولكن هذا العمل الجوانحي يستلزم إظهاره بواسطة الجوارح، فمن كان محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام سيكون مطيعاً له، وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام:

«عجبت لمن يدّعي حبّ الله كيف يعصي الله».

فإنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع، وعلى هذا يكون التولّي عملاً قلبياً، وبما أنّ القلب هو سلطان البدن فبصلاحه تصلح الجوارح وبفساده تفسد، وهذا مشابه للملك والرعيّة، فإذا صلح الملك صلحت الرعيّة، لأنّ ا لناس على دين ملوكها، فإذا كان

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ (سورة النساء، الآية: ٥٩).

(٢) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ (سورة المائدة، الآية: ٥٥)، **فإن الآية حصرت الطاعة لله ولرسوله ولعلي أمير المؤمنين لأنه هو الذي أعطى الزكاة إلى ذلك الفقير في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في حالة الركوع فأشار بإصبعه إليه ـ في قصة مفصلة، وقد حدث هذا لكل الأئمة، والآية تعم جميع الأئمة الاثني عشر كما هو ثابت عندنا ـ وهذا متفق عليه في كتب التفسير عند الفريقين.**

القلب يتولّى الله ورسوله وأولياءه فيحبّهم فيطيعهم فيمتثل البدن للقلب، ويظهر الطاعة على قدر طاعة القلب وحبّه وانقياده.

وأمّا التبرّي الذي هو الجناح الثاني في السير والسلوك إلى الله تعالى، ولكي يصل الإنسان إلى ربّه تعالى لابدّ له من جناحين، أوّلهما التولّي وثانيهما التبرّي.

فالتولّي لله ولرسوله ولكتبه ولأوليائه، والتبرّي من أعداء الله ورسوله وأوليائه ومن أعداء فاطمة الزهراء عليها السلام، فالذي يعرف فاطمة بأنّها سرّ الوجود لابدّ له أن يتولاّها ويتبرأ من أعدائها، وممن ظلمها، وممّن ضربها وأسقط جنينها.

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«كذب من زعم أنّه يحبّني ويحبّ عدوّي».

وهذا القول الذي صدر من الإمام المعصوم موافق لقوله تعالى:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾[1].

فلذلك نعجب ممّن يدّعي حبّ علي عليه السلام وحبّ عدوّه معاً، ونعجب ممّن يقول: إنّ الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى عدوّه هو الرجوع إلى الإسلام، هذا كلام ما أنزل الله تعالى به من سلطان وهو خلاف المنطق، كيف يكونا على طرفي نقيض والرجوع إليهما رجوع إلى الإسلام، التولّي والتبرّي عملان قلبيّان، فالأوّل حبّ باطني، والثاني بغض باطني، والأوّل هو حبّ لله ولرسوله ولأمير المؤمنين عليه السلام، والثاني بغض لعدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يجتمع في قلب واحد حبّ الطيّب وحبّ الخبيث، وحبّ الله تعالى وحبّ عدوّه، وهذا القلب لا يمكن له أن يكون طيّباً وخبيثاً في آن واحد، فلهذا نجد التركيز في الشريعة الإسلامية على التولّي والتبرّي، فلا يمكن أن

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

يدّعي أحد التولّي دون أن يبغض عدوّ من يتولّى، لأنّه لو كان يمكن ذلك لصحّ أن نتصالح مع الشيطان ونحبّه، وبما أنّ للشيطان أولياء فلنحبّ أولياءه فيجتمع في قلبنا حبّ أولياء الله وأولياء الشيطان، ولكن هذا مستحيل لأنّ الشيطان وأولياءه أعداء أولياء الله تعالى منذ اليوم الأوّل، ومنذ بدء الخليقة، فالشيطان عدوّ الله تعالى لأنّه تكبّر على آدم وعصى أمر الله تعالى، فآدم الذي عكس الصفات الإلهية والأسماء الحسنى ظهر له عدوّه من لحظة وجوده.

فحبّ الجميع وعدم كراهية أحد من الناس هذه مقولة شيطانية، لأنّ من الناس من هم أولياء للشيطان، بل هم من شياطين الإنس، وهذه المقولة تسرّ الشيطان وتفرح حزبه، وهذه المقولة تعمل على تخريب عقائد البسطاء من الناس، وهذه المقولة من تزيين الشيطان، فتراهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً وهم لا يعلمون بأنّ هذا خلاف قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي قاله في حقّ الأصدقاء والأعداء فقال عليه السلام:

«أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدوّ عدوّك، وأعداؤك: عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك»[1].

فصديق عدوّي يعاديني لأنّه صديق العدوّ، وعدوّ صديقي يعاديني لما بيني وبين عدوّه من صداقة وهذه مسألة وجدانية فطرية حسّية، وهذا قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو القول الحقّ لأنّ علياً هو الحقّ والحقّ مع عليّ يدور الحقّ حيثما يدور علي، وهذا لا يمكن إنكاره، فإذا كان الحقّ مع عليّ فهو قسيم الجنّة والنار، وهو سفينة النجاة، وهو الذي يقول للنار هذا عدوّي فخذيه وهذا وليّي فدعيه، فإذن الذي ينجو بولاية علي عليه السلام ثلاث طوائف:

(١) ميزان الحكمة للريشهري: ج٢، ص١٥٨٧، ح٢٢٠٩.

أوّلها ـ صديق علي عليه السلام أي الذي يصدق مع علي عليه السلام في كلّ شيء كسلمان المحمدي (رضوان الله عليه) الذي قيل في حقّه:

«سلمان منّا أهل البيت».

فلقد كان صديقا لأمير المؤمنين، بل هو تالي تلو أمير المؤمنين عليه السلام وخير شاهد على ذلك هذه القصّة التي ذكرناها سابقا[1]، وهي عندما أراد الأصحاب أن يدخلوا المسجد ويسبقوا سلمان بالحضور إلى جوار علي عليه السلام فلم يتوفّقوا لذلك، إلاّ أنّهم في يوم ما نظروا إلى الطريق فلم يروا إلاّ آثار أقدام علي عليه السلام ففرحوا بذلك وعندما ذهبوا مسرعين وجدوا سلمان عنده فاندهشوا من ذلك وسألوه: من أين أتيت يا سلمان؟ أنزلت من السماء أم خرجت من الأرض؟ فأجابهم سلمان بكلّ هدوء: إنّي أتيت من نفس الطريق الذي جاء به أمير المؤمنين عليه السلام وكنت أضع قدمي على موضع قدم أمير المؤمنين عليه السلام لأنّني أعلم أنّه لا يرفع قدماً ولا يضعها إلاّ بحكمة وعلم، فإنّه يرى أنّ خطوات أمير المؤمنين صادقة حتّى في مثل هذا الموقف، فلذلك صار من أهل البيت ومن أهل النجاة.

وأمّا الطائفة الثانية ـ هي (صديق صديقي)، أي من كان صديقاً لسلمان ومن يحذو حذوه، النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، فحينها سيكون محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام ويكون شيعيا خالصاً مخلصاً، فلو نظرنا إلى الروايات التي تتحدّث عن صفات الشيعي نجد تقصيراً واضحاً لدينا، لأنّ من صفات الشيعة أنّهم خمص البطون من الجوع، عمش العيون من البكاء، صفر الوجوه من السهر، ومن صفات محبّي أهل البيت عليهم السلام حبّ العلم والعمل الصالح وبغض الدنيا والسخاء، فهي من صفات المتّقين الذين إمامهم علي عليه السلام، وهذه صفات الطائفة الثانية فأين نحن من هذه الصفات وهل فينا منها؟.

---

(١) جاءت في (عصمة الحوراء زينب عليها السلام).

فإذن لا يبقى لدينا إلاّ أن ننتسب إلى الطائفة الثالثة وهي طائفة (عدوّ عدوّي) هذه لنا ونستطيع أن ندّعي أننا أعداء لعدوّ أمير المؤمنين عليه السلام ونطالبه بذلك في يوم القيامة، لاسيّما إننا كثيراً ما نقول في زيارة عاشوراء (اللهم ألعن أوّل ظالم ظلم حق محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك)، فهذه براءة معلنة من أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم نتقرّب بها إلى الله تعالى، فنأمل النجاة بهذه الرتبة، ولكن هناك من ينجو بالولاية إذا كان من أهلها، وينجو بالطاعة إذا كان من أهل العبادات، أمّا من كان مثلي فكيف يمكن له أن ينجو يوم القيامة؟ ليس له إلاّ التبرّي من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، فلا نستمع إلى الأقلام المأجورة ولا نستمع إلى الألسن المرتزقة التي تحاول أن تلمّع شخصيات صدأت، بل هي ليست بشيء منذ اليوم الأوّل للإسلام، وما هي إلاّ شياطين الإنس التي عادت أمير المؤمنين وعادت الزهراء وأولادهما عليهم السلام، فكيف لهذه الأقلام الهزيلة أن تحاول إظهار عدوّ أهل البيت بأنّه خدم الإسلام؟ فلا تنجرّوا وراء أفكار سقيمة، ونفوس جشعة، وعقول سطحية لا تتعمّق في علوم أهل البيت عليهم السلام، فعليكم بالبراءة وعليكم بالولاية، وأظهروا مظاهر هذه الولاية، وهذا الحبّ، وعظّموا الشعائر الحسينية، فإنّها من مظاهر الولاية والبراءة.

والتزموا شعار الولاية الذي هو الصلاة على محمد وآل محمد، فإنّ الصلاة عليهم دعاء لهم ليرفع الله تعالى درجاتهم، وكما ورد في الزيارة الجامعة (وصلواتنا عليكم، طهارة لأنفسنا وكفّارة لذنوبنا)[1]، والتزموا أيضا شعار البراءة الذي هو (لعن أعداء أهل البيت عليهم السلام) وأعداء فاطمة الزهراء عليها السلام وهذا اللعن أيضاً دعاء ولكنّه على أعداء أهل البيت عليهم السلام، لأنّ معنى اللهمّ العن فلاناً أي أبعده عن رحمتك، لأنّه لا يستحقّ الرحمة الإلهية، ولهذا نجد في كلّ زيارة بجانب السلام والتحيّة لهم عليهم السلام لعناً لأعدائهم وأحياناً يقدّم

(١) مفاتيح الجنان: زيارة الجامعة الكبيرة؛ وهي الثانية من الزيارات الجامعة.

اللعن على السلام، لأنّه بغض، والبغض تخلية، والحبّ تحلية، والتخلية تقدّم على التحلية، فعندما نتكلّم عن عظمة الزهراء وعن مظلوميتها، لأنّ رضا فاطمة رضا الله وغضبها غضب الله، وهذا ما ورد في صحيح البخاري عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أرضاني فقد أرضى الله، ومن أغضب فاطمة فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله»[1].

وتقرأ في نفس الصحيح:

«إنّ فاطمة ماتت وهي واجدة على فلان وفلان».

يعني ماتت سلام الله عليها وهي غاضبة عليهما، فإذن حلّ عليهما غضب الله تعالى، ومن حلّ عليه غضب الله تعالى فهو ملعون بصريح القرآن، ويلعنه الله ويلعنه اللاعنون، لأنّه آذى الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام[2]، فهذا هو الحقّ، وعليك بمعرفة الحقّ لكي تعرف أهله، فاعرف الحقّ تعرف أهله، ولا يُعرف الحقّ بالرجال، بل يُعرف الرجال بالحقّ، فلا تبهر بفلان وفلان، اعرف الحقّ وانظر إلى الحقّ وانظر إلى ما قيل لا إلى مَن قال.

ثمّ التبرّي موجود عند كلّ المسلمين، إلاّ أنّهم اختلفوا في المصاديق، لأنّ الأمر اشتبه عليهم، ولو عرفوا الحقّ لاتّبعوه، إلا من كان في قلبه مرض فزادهم الله مرضاً.

---

(١) صحيح البخاري، الجزء الرابع، باب مناقب فاطمة عليها السلام.

(٢) ﴿....وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية: ٦١)، فالذي يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه أو في من كنفسه وأعني بذلك عليا عليه السلام أو الذي يؤذيه في روحه وأعني بذلك فاطمة لأنها روحه التي بين جنبيه كما ورد في الحديث أو في أهل بيته، فإنه ظالم ومتجاسر ومعتد فيستحق اللعن بصريح القرآن الذي يقول: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة هود، الآية: ١٨)، ثم صرحت الآية القرآنية الكريمة بلعن من آذى الله ورسوله فقالت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ (الأحزاب، الآية: ٥٧).



المحاضرة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد والحمد والصلاة :

ورد في الحديث الشريف :

«أغدُ عالماً أو متعلّماً»[1].

وورد أيضا في الحديث الشريف :

«الناس ثلاثة، عالم ربّاني، و متعلّم على سبيل النجاة، و همج رعاع»[2].

فكلّ إنسان لا يخلو من أحد هذه الصفات الثلاث :

إمّا أن يكون عالماً ربانياً ينتسب إلى الله تعالى ويتجلّى فيه ربّه سبحانه ، وإمّا أن يكون متعلّماً يطلب النجاة ، لأنّ العلم الذي يترجم إلى عمل هو وسيلة النجاة ، وإمّا أن يكون بعيداً عن العلم والعلماء فهو همج رعاع ، ينعق مع كلّ ناعق ويميل مع كلّ ريح ، ويتحوّل في بعض الأحيان إلى مصداق من مصاديق الأنعام ، بل يتسافل حتّى يكون أضلّ سبيلاً .

---

(١) الحديث «أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم، ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم» (أصول الكافي:١، ٨٣).

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج١، ص٢٢٧ . وهناك حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام: «الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغثاء» (أصول الكافي: ١، ٨٣).

فإذا تبيّن هذا لنا وعينا قول المعصوم عليه السلام بدقّة، وأنّه لابدّ من استغلال العمر والتزوّد بالعلم والعمل الصالح، لأنّ العمر يمرّ كما يمرّ سحاب الربيع، لأنّ من صفات سحاب الربيع تراه في السماء كثيفاً، وسرعان ما يزول، وهكذا العمر فهو سرعان ما يمرّ، فلا تكن مصداقاً لهذا البيت من الشعر:

يا من بدنياه اشتغل قد غرّه طول الأمل

الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل

فطوبى لمن اغتنم فرصة العمل واستغلّها في طاعة الله تعالى.

وأوّل هذه الطاعات هو طلب العلم الإلهي، وخير شاهد على ذلك هذه القصّة التي ملؤها العبر والموعظة:

يُنقل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً وإلى جنبه شابّ جالس أيضاً، فنزل أحد الملائكة المقرّبين عليهم السلام وأخذ ينظر إلى هذا الشابّ الجالس بنظرة عميقة، فلمّا رأى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هذا سأل الملك عن سبب نظرته هذه، فأجابه بأنّ هذا الشابّ لم يبقَ لديه إلاّ ثلاثة أيام من حياته، فبعد أن عرج الملك إلى السماء، توجّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشابّ وأخبره بذلك، فقال الشابّ: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بِمَ تنصحني أن أفعل في هذه الأيام الثلاثة، وما هو العمل الذي يقرّبني إلى الله تعالى؟ أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اطلب العلم، فإنّه أفضل عمل يقرّبك إلى الله تعالى».

وهذا القول النبوي الشريف يشير إلى هذه الآية القرآنية الكريمة:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

فإذن لابدّ من طلب العلم واطلبه من المهد إلى اللحد، أي في كلّ مرحلة من عمرك، لابدّ أن تكون متعلّما، ولابدّ أن تفتح خزائن العلم، ومفتاح خزائن العلم هو السؤال، فأكثر من السؤال في أمور دينك حتّى يقال لك مجنون، وخذ العلم من أفواه الرجال كما تأخذه من بطون الكتب.

فليس كلّ العلم قد كتب بل منه ما في صدور الرجال، أي علوم إلهامية ألهم الله تعالى العالِم بها، لأنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلهذا يقول الإمام الرضا عليه السلام:

«اسألوا يرحمكم الله، فإنّه يؤجر أربعة: السائل والمسؤول والسامع والمحبّ لذلك».

ففي السؤال عبادة وفي الجواب عبادة وفي الاستماع إليهما عبادة والذي يحبّ ذلك أيضاً في عبادة، لأنّه يفرح بذكر الله تعالى وذكر أوليائه.

فعليكم بالسؤال، ولكن عليكم الالتزام بآداب السؤال، لأنّ للسؤال أدباً خاصّاً به، وخير شاهد على ذلك هذه القصّة، ينقل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال:

«سلوني قبل أن تفقدوني، وإنّي أعرف منكم بطرق السماء منكم بطرق الأرض».

فقام إليه رجل من المنافقين يسأل الإمام عليه السلام: كم طاقة من الشعر في لحيتي؟ وأراد أن يخجل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام:

«ويلك إنّي أعرف ذلك ولكن سل تفهّماً ولا تسل تعنّتا».

فإذن لابدّ أن يكون السؤال للتعلّم والتفهّم لا للامتحان ولا لإحراج المسؤول، ولا يكون ترفاً وتسلية، بل لابدّ أن يراد منه القربة إلى الله تعالى، ثمّ طلب العلم النافع والعمل به.

ثم أجاب الإمام عليه السلام :

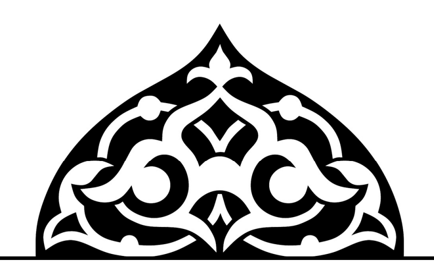
«اعلم أيّها السائل إنّ تحت كلّ طاقة من شعرات لحيتكم شيطاناً، وإنّه في بيتك سخل يقتل ولدي الحسين عليه السلام[1]، ومراده (عمر بن سعد)».

فاسألوا يرحمكم الله، فإنّما يؤجر على ذلك: السائل والمجيب، والسامع والمحبّ لهم[2]، والحمد لله رب العالمين.

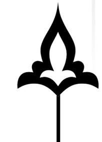
---

(١) راجع كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد رحمه الله. مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي: ج٣، ص١٠١.

(٢) بعد كل محاضرة كان المجال مفتوحا للسؤال والجواب، وقد جمعنا الأسئلة والأجوبة، وسوف تطبع بعنوان (في رحاب أنت تسأل) إن شاء الله تعالى، ثم وقفنا على بعض مكتوبات سيدنا الأجل العلوي وقد كتبها من قبل حول أمه الزهراء البتول عليها السلام، فآثرنا طبعها تعميما للفائدة وتكميلا للمحاضرات، ومن الله التوفيق والسداد.



الخصائص الفاطمية





بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنّ قانون الزوجيّة كقانون العلّية، بنصّ القرآن الكريم هو الحاكم على العالم التكويني:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1].

ومن مصاديق الأزواج العقل الكلّ والنفس الكلّ وكذا العلم والعمل، والعلم مقوّم روح الإنسان والعمل يشخّص بدن الإنسان، والعقل العملي يتبع العقل النظري، فالعلم إمام العمل.

ومن مصاديق الأزواج: السماء والأرض، والوجود والماهيّة، وكلّ مذكّر ومؤنّث من الحيوان والروح الذي يتكوّن من نطفة الرجل والبدن المتكوّن من نطفة المرأة.

وهذا القانون حاكم في كلّ شيء حتّى أعصاب المخّ فإنّه يتكوّن من أعصاب زوجيّة.

والنكاح اللقاح التكويني هو الحاكم في قانون الزوجية، يتولّد منه العوالم المعنويّة والروحيّة والنفسية والمثالية والحسّية، فالنكاح الأوّل كان في الأسماء الإلهيّة ثمّ في عالم الأرواح والعقول المفارقة ثمّ عالم الأجساد الطبيعية والعنصرية، ثمّ يتولّد منه المولّدات الثلاث ـ المعادن والنباتات والحيوانات ـ والنكاح الأخير يختصّ بالإنسان الكامل والكون الجامع، فالروح بمنزلة الزوج والنفس بمنزلة الزوجة.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

والخلق يكون على أساس التثليث، فالولد نطفة من الأبوين.

والإنسان الكامل سواء الرجل أو المرأة هو ثمرة شجرة الوجود، فهو غاية الحركتين الوجودية والايجادية، فالمرأة مصنع الصنع الإلهي، فهي كالشجرة الطّيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين.

والإنسان الكامل لو كان رجلاً فهو مظهر العقل الكلّ، وإن كان امرأة فهو مظهر النفس الكلّية وصورتها.

فعلي عليه السلام مظهر العقل الكلّي على أتمّ الوجوه الممكنة، فهو أمّ الكتاب، وفاطمة الزهراء مظهر النفس الكلّية على أتمّ الوجوه الممكنة.

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام وديعة المصطفى، الحوراء الإنسيّة، مطلع الأنوار العلوية، وضياء المشكاة الولويّة، أمّ أبيها، وأمّ الأئمة النجباء، صندوق العلم، ووعاء المعرفة.

لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة أحرزت مقام العصمة الإلهية الكبرى، وكما ذهب الأعاظم من علمائنا الأعلام كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى إلى عصمتها، كما تدلّ الآيات الكريمة كآية التطهير والروايات الشريفة على ذلك، ومن أنكر ذلك فإنه كالأعمى الذي ينكر نور الشمس.

والعصمة قوّة نوريّة ملكوتية في المعصوم تعصمه عن جميع ما يشين الإنسان الكامل من الذنوب والمعاصي والسهو والنسيان والغفلة وما شابه ذلك، ومن كان معصوما من أوّله إلى آخره لا يصدر منه الشين.

فاطمة الزهراء معصومة بعصمة الله سبحانه كما عصم أولادها الأئمة الأطهار، فإنّ عصمتهم كعصمة القرآن، فهما الثقلان اللذان لن يفترقا في كل شيء من البداية وحتى النهاية.

والأذان إعلام وإعلان لما يحمل الإنسان من العقيدة، فالشيعي إنّما يعلن عن عقائده الصحيحة في أذانه وإقامته للصلاة، فيعلن للعالم كلّ يوم أنّه يؤمن بالله ووحدانيته كما يؤمن برسول الله ونبوّته ويؤمن بولاية علي وإمامته، كما يشهد بعصمة الزهراء وطهارتها، أي في أذانه وإقامته يخبر عن معتقده في الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام.

وفاطمة الزهراء بقيّة النبوّة وعقيلة الرسالة، زوج وليّ الله الأعظم وكلمة الله الأتمّ، حازت مقام العصمة، فلا مانع بل من الراجح أن يشهد بعصمتها في الأذان والإقامة كما يشهد بنبوّة والدها وبولاية زوجها، فنقول في الأذان والإقامة بعد الشهادة الثالثة: (أشهد أن فاطمة الزهراء عصمة الله)[1]، أو يلحقها بالشهادة الثالثة، أي (أشهد أنّ علياً وأولاده المعصومين حجج الله، وأنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)، فيقولها لا بقصد الجزئيّة كما أفتى المشهور من الفقهاء بذلك في الشهادة الثالثة.

وممّا يدلّ على عصمتها أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، كما ورد متواتراً في كتب الفريقين السنّة والشيعة.

ولا تجد معصوماً تزوّج بمعصومة إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولولا علي لما كان لفاطمة كفؤ آدم ومن دونه، فإنّ المعصومة لا يتزوّجها إلاّ المعصوم، فمن خصائص أمير المؤمنين التي لا يشاركه فيها أحد حتّى النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو زواجه من المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو الزواج المبارك وزواج النور من النور كما ورد في الأخبار، فلا يستولي على المعصومة إلاّ المعصوم، لأنّ الرجال قوّامون على النساء، فالمعصومة لا يتزوّجها إلاّ المعصوم، بخلاف المعصوم فإنّه يتزوّج غير المعصومة، فتدبّر.

---

(١) كما ذهب إلى هذا شيخنا الأستاذ آية الله الشيخ حسن زاده الآملي في (فص حكمة عصمتية في كلمة فاطمة)، فراجع.

وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، في الدنيا والآخرة، كما يشهد بذلك آية التطهير وحديث الكساء وأصحابه الخمسة: المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة.

وإنّما قدّم في آية المباهلة النساء والأبناء على الأنفس ربما للإشارة إلى أنّ الأنفس فداهما.

وفاطمة حقيقتها حقيقة ليلة القدر، فمن عرفها حقّ المعرفة فقد أدرك ليلة القدر، وسمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن كنه معرفتها.

والله خلق عالم الملك على وزان عالم الملكوت، والملكوت على وزان الجبروت، حتّى يستدلّ بالملك على الملكوت وبالملكوت على الجبروت وهو عالم العقول.

وقد عبّر عن القوس النزولي بالليل والليالي، كما عبّر عن القوس الصعودي باليوم والأيام، فعصمة الله فاطمة عبّر عنها بليلة الله، فهي يوم الله كذلك، والإنسان الكامل هو القرآن الناطق، فنزل أحد عشر قرآنا ناطقاً في ليلة القدر، أي في فاطمة الزهراء، فهي الكوثر وإنّا أعطيناك الكوثر وليلة القدر خير من ألف شهر أي ألف مؤمن، فإنّ فاطمة أمّ الأئمة النجباء وأمّ المؤمنين والملائكة من المؤمنين الذين حملوا علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وروح القدس فاطمة يتنزّلون في ليلة القدر بإذن ربّهم من كلّ أمر، سلام هي حتّى مطلع فجر قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأيام الله كما ورد في خبر العسكري هم الأئمة فلا تعادوا أيام الله فتعاديكم.

والمعرفة على نحوين: مفهوميّة استدلالية ومعنويّة ذوقيّة.

والثانية يحصل عليها العارف بالشهود والكشف لا بالبرهان والكسب، والعيان ليس كالبيان.

وليلة القدر قلب الإنسان الكامل الذي هو عرش الرحمن وأوسع القلوب، فالروح الأمين في ليلة مباركة نزل بالقرآن، فانشرح صدره، فليلة القدر الصدر النبويّ الوسيع.

ومثل هذا الصدر الشريف يحمل القرآن العظيم دفعة واحدة في ليلة مباركة، وفرق بين الإنزال فهو دفعي والتنزيل فهو تدريجي، فنزل القرآن دفعة واحدة في ليلة القدر ثمّ طيلة ٢٣ سنة نزل تدريجاً.

(ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة)[1].

والقلب يطلق على الشكل الصنوبري اللحمي الموجود في الجانب الأيسر من القفص الصدري، كما يطلق على اللطيفة الربانية المتعلّقة بالقلب الجسماني، فكذلك هذا المعنى يطلق في ليلة القدر.

وليلة القدر الذي يحمل القرآن دفعة واحدة في معارفه وحقائقه هي فاطمة الزهراء عليها السلام، وما من حرف في القرآن إلاّ وله سبعون ألف معنى، وفاطمة تعرف تلك المعاني، فمن عرفها حقّ معرفتها أدرك ليلة القدر، فهي درّة التوحيد ووديعة المصطفى ليلة القدر ويوم الله والكون الجامع والقلب اللامع الذي يتجلّى فيه الغيب.

ثمّ إنّ النبوّة والوحي على نحوين؛ تشريعية مختصّة بالرجال وقد ختمت بمحمّد فحلاله حلال إلى يوم القيامة، ومقامية تكوينية ـ تسمّى بالنبوّة العامّة ـ فتعمّ الرجال والنساء، كما في قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾[2].

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أرى نور الوحي وأشمّ رائحته».

كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

«تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت وزيري، وإنّك على خير».

فمثل هذه النبوّة مستمرّة إلى يوم القيامة ينالها أصحاب النفوس القدسية فيتمثّل لها الصور الملكية والملكوتية كما وقع لمريم العذراء بحملها عيسى كلمة الله.

وفاطمة كانت ممّن تحدّثها الملائكة، فهي المحدّثة ـ بالكسر والفتح ـ.

فهناك من عنده علم من لدن حكيم كالخضر عليه السلام ، ومثل موسى من أنبياء أولي العزم يريد أن يستصحبه كي يتعلّم رشداً، إلا أنه لا يستطيع صبراً.

واسم فاطمة مشتق من أسماء الله الحسنى، واشتقّ اسمها من الفاطر، فلا يقاس بها أحد بعد أبيها خاتم النبيّين وبعلها سيّد الوصيّين.

والعلم نور يتّحد مع العالم والمعلوم، فيدخل جنّة الذات والأسماء، والحكمة جنّة، فمن يدخل الحكمة فقد دخل الجنّة، والإنسان الحكيم الكامل جنّة، وهو القرآن الناطق، وكلّ يعمل على شاكلته فاقرأ وارقأ.

ن والقلم، فما يكتب في العصمة الكبرى لفاطمة الزهراء إلاّ رشحات من بحر معرفتها، وقد فطم الخلق عن كنه معرفتها، فمن يعرفها ويعرف أسرارها؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّ الله جعل علياً وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمّتي، من اهتدى بهم هدي إلى صراطٍ مستقيم»[1].

---

(١) شواهد التنزيل، للحافظ الحسكاني الحنفي: ١، ٥٨.

وفي قوله تعالى:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[١].

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

قال: علي وفاطمة.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.

قال: النبي.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

قال: الحسن والحسين[٢].

وأذاها أذى رسول الله، ومن يؤذِ الرسول فقد آذى الله، ومن يؤذِهم فعليه لعنة الله في الدنيا وعذابٌ مهينٌ في الآخرة، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٣].

وما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت، أيّ أذى أكبر ممّا ورد على فاطمة الزهراء من المصائب من قبل الظالمين؟ وثبتت العصمة لها من خلال الأحاديث الواردة في فضائلها ومقاماتها.

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ١٩-٢٢.

(٢) الدرّ المنثور للسيوطي: ٧، ٦٩٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

من أهمّ الخصائص الفاطمية

وإليكم جملة من الخصائص، قد استخرجتها من الروايات الشريفة، وهي تدلّ على الأمور الغيبية في تكوينها وفي حياتها الملكيّة والملكوتيّة، فإنّها:

١ ـ أوّل بنت تكلّمت في بطن أمّها.

٢ ـ أوّل مولودة أنثى سجدت لله عند ولادتها.

٣ ـ أمّ أبيها.

٤ ـ شرافتها العنصريّة، فهي الحوراء الإنسيّة.

٥ ـ اشتقاق اسمها من اسم الله الفاطر سبحانه وتعالى.

٦ ـ رشدها الخاصّ.

٧ ـ إنّها من أصحاب الكساء عليهم السلام.

٨ ـ الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف من ولدها.

٩ ـ ذرّيتها لا يدخلون النار ولا يموتون كفّاراً، والنظر إليهم عبادة.

١٠ ـ لم يكن لها كفو من الرجال آدم ومن دونه إلاّ أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

١١ ـ هي ليلة القدر.

١٢ ـ فطم الخلق عن معرفتها.

١٣ ـ على معرفتها دارت القرون الأولى.

١٤ ـ كتب اسمها على العرش.

١٥ ـ تحضر الوفاة لكلّ مؤمن ومؤمنة.

١٦ ـ لها ولادة خاصّة.

١٧ ـ ينفع حبّها في مائة موطن.

١٨ ـ نجاة شيعتها بيدها المباركة ، وتجلّي الشفاعة الفاطمية يوم القيامة.

١٩ ـ زيارتها وحجّيتها على الأئمة الأطهار عليهم السلام .

٢٠ ـ في خلقتها النوريّة تساوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢١ ـ إنها مجمع النورين النبوي والعلوي.

٢٢ ـ إنّها مفروضة الطاعة المطلقة على كلّ الخلائق.

٢٣ ـ هي العصمة الكبرى والطهارة العظمى.

٢٤ ـ اسمها المبارك (فاطمة) يوجب الغنى.

٢٥ ـ هي النسلة الميمونة والمباركة.

٢٦ ـ زواجها كان في السماء قبل الأرض.

٢٧ ـ حديث اللوح.

٢٨ ـ تسبيحها وآثارها.

٢٩ ـ يفتخر الله بعبادتها على الملائكة.

٣٠ ـ إقرار الأنبياء والأوصياء بفضلها ومحبّيها.

٣١ ـ يُشمّ منها رائحة الجنة.

٣٢ ـ الوحيدة التي قبّل النبيّ يدها.

٣٣ ـ هدية الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٤ ـ خير نساء العالمين من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة.

٣٥ ـ تبكي الملائكة لبكائها.

٣٦ ـ وجوب الصلاة عليها كالنبيّ وآله الأطهار عليهم السلام.

٣٧ ـ قرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٨ ـ ثمرة فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٩ ـ مهرها وصداقها.

٤٠ ـ أمّ الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٤١ ـ مصحف فاطمة عليها السلام.

٤٢ ـ بحر النبوّة.

٤٣ ـ كوثر القرآن.

٤٤ ـ شوق النبيّ للقائها وإنّه يبدأ بها بعد السفر كما يختم بها حين السفر.

٤٥ ـ أوّل من تدخل الجنة.

٤٦ ـ ظلامتها.

وخصائص أخرى سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضع آخر مع رواياتها الشريفة، والحمد لله رب العالمين.



من خصائصها عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[1].

لو قرأنا زيارة الجامعة الكبيرة الواردة بسند صحيح عن الإمام الهادي عليه السلام والتي تعدّ من أفضل الزيارات وأعظمها، لوجدناها تذكر وتبيّن شؤون الإمامة بصورة عامّة، ومعرفة الإمام بمعرفة مشتركة لكلّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، فكلّ واحد منهم ينطبق عليه أنّه عيبة علمه وخازن وحيه.

إلاّ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لا تزار بهذه الزيارة، فلا يقال في شأنها: موضع سرّ الله، خزّان علم الله، عيبة علم الله... فهذا كلّه من شؤون حجّة الله على الخلق، وفاطمة الزهراء هي حجّة الله على الحجج، كما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام:

«نحن حجج الله على الخلق، وفاطمة الزهراء حجّة الله علينا».

ثمّ فاطمة الزهراء هي ليلة القدر، فهي مجهولة القدر كليلة القدر في شهر رمضان، فلا يمكن تعريفها وأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ولا زيارة خاصّة لها، ربما لأنّ أهل

---

(١) فرائد السمطين: ٢، ٦٨.

المدينة بعيدون عن ولايتها ويجهلون قبرها فكيف تزار؟، أو يقال: لا يمكن للزهراء أن تعرّف في قوالب الألفاظ، فإنّ الشخص تارةً يعرف بأنّه عالم ورع، وأخرى يقال: فلان لا يمكن وصفه ومعرفته، فالزهراء عليها السلام إمام على ما جاء في زيارة الجامعة الكبيرة.

كما أنّه ورد في توقيعات صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنّ أسوته ومقتداه أمّه فاطمة الزهراء عليها السلام، فالجامعة زيارة الإمام، ولكن أسوة الأئمة وحجّة الله عليهم هي فاطمة الزهراء، فلا يمكن وصفها وبيان قدرها.

ومن خصائصها، كما أنّ لها مبانيَ خاصّة في الفقه والعقائد والمعارف السامية، إلاّ أنّه من خصائصها أنّ حبّها ينفع في مائة موطن، وحبّ الأئمة الأطهار عليهم السلام ينفع في سبعة مواطن للنجاة من أهوال يوم القيامة.

ومنها: أنّها في خلقتها النورية تساوي النبيّ، فهي كما قال النبيّ: روحه التي بين جنبيه، وربما الجنبان إشارة إلى جنب العلم وجنب العمل، فهي واجدة روح النبيّ بعلمه وعمله وكلّ كمالاته إلاّ النبوّة فهي الأحمد الثاني، فهي علم الرسول وتقواه وروحه.

ويحتمل أن تكون إشارة الجنبين إلى النبوّة المطلقة والولاية، فقد ورد في الخبر النبوي الشريف: (ظاهري النبوّة وباطني الولاية) التكوينية والتشريعية على كلّ العوالم، كما ورد: (ظاهري النبوّة وباطني غيب لا يدرك)، وأنفسنا في آية المباهلة تجلّيها وظهورها ومصداقها هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، فالزهراء تعني رسول الله وأمير المؤمنين، فهي مظهر النبوّة والولاية، وهي مجمع النورين: النور المحمّدي والنور العلوي، وكما ورد في تمثيل نور الله في سورة النور وآيتها:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

بأنّه كالمشكاة، وورد في تفسيره وتأويله أنّ المشكاة فاطمة الزهراء وفي هذه المشكاة نور رسول الله وأمير المؤمنين ثمّ بعد ذلك الأئمة الأطهار عليهم السلام يهدي الله لنوره من يشاء.

فالنبوّة والإمامة في وجودها، وهذا من معاني (والسرّ المستودع فيها) فهي تحمل أسرار النبوّة والولاية، تحمل أسرار الكون وما فيه، تحمل أسرار الأئمة وعلومهم، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة.

ولا فرق بين الأحد والأحمد إلاّ ميم الممكنات الغارقة فيها، والأمّ تحمل جنينها وولدها، وفاطمة الزهراء عليها السلام أمّ أبيها، فهي تحمل النبيّ في أسرار نبوّته وودائعها، كما تحمل كلّ الممكنات في جواهرها وأعراضها، فخلاصة النبوّة تحملها فاطمة فهي أمّ أبيها.

ومن خصائصها: أنّها تساوي النبيّ والوليّ في قالبها الطيني والصوري في عرش الله، كما في الروايات فيما يلتفت آدم إلى العرش ويرى الأشباح الخمسة النورانية في العرش.

ومن خصائصها: أنّ خلقتها العنصري ليس كخلقة آدم عليه السلام، فإنّه خلق من طين وبواسطة الملائكة، ولكنّ خلق فاطمة إنّما كان بيد الله، بيد القدرة ومن شجرة الجنّة ومن عنصر ملكوتي في صورة إنسان، فهي حوراء إنسية كما ورد في الأخبار، وإنّ النبيّ كان يقبّلها ويشمّها ويقول:

«أشمّ رائحة الجنّة من فاطمة».

ففاطمة الزهراء خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً.

ومن خصائصها: أنّ الله خلق السماوات والأرض من نورها الأنور، وازدهرت الدنيا بنورها بعدما اظلمّت كما في خبر ابن مسعود، وهذا معنى اشتقاق فاطمة من الفاطر بمعنى الخالق الذي فطر السماوات والأرض، ففطر الخلائق بفاطمة الزهراء عليها السلام ونورها الأزهر.

ولمثل هذه الخصائص الإلهيّة كان النبيّ يقول: فداها أبوها، وأنّها أمّ أبيها وكان يقوم أمامها إجلالاً لها وتكريما ويجلسها مجلسه، ويقبّل يديها وصدرها قائلاً: أشمّ رائحة الجنّة من صدرها، ذلك الصدر الذي كان مخزن العلوم ومصداق السرّ المستودع فيها، وقد كسر الظالمون ضلعها وعصروها بين الباب والجدار وأسقطوا ما في أحشائها محسنا عليه السلام:

ولست أدري خبر المسمارِ   سل صدرها خزانة الأسرارِ

ليلة القدر فاطمة الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار[1] عن تفسير فرات الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال:

«إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى».

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[2].

«الليلة فاطمة الزهراء والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها».

عن زرارة عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدّر الله فيها؟

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢، ١٠٥.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

قال :

«لا توصف قدرة الله إلاّ أنّهُ قال:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[١].

فكيف يكون حكيما إلاّ ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنّه يحدّث ما يشاء.

وأمّا قوله:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٢].

يعني فاطمة عليها السلام، وقوله:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[٣].

والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، و(الروح روح القدس وهو في فاطمة عليها السلام).

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾[٤].

يقول من كلّ أمر مسلّمة.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٥].

يعني حتّى يقوم القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف »[٦].

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٢) سورة القدر، الآية: ٣.

(٣) سورة القدر، الآية: ٤.

(٤) سورة القدر، الآيات: ٤ـ٥.

(٥) سورة القدر، الآية: ٥.

(٦) بحار الأنوار: ٢٥، ٩٧.

قال العلامة المجلسي في بيان الخبر:

وأمّا تأويله عليه السلام ليلة القدر بفاطمة عليها السلام فهذا بطن من بطون الآية، وتشبيهها بالليلة إمّا لسترها وعفافها، أو لما يغشاها من ظلمات الظلم والجور، وتأويل الفجر بقيام القائم بالثاني أنسب، فإنّه عند ذلك يسفر الحقّ، وتنجلي عنهم ظلمات الجور والظلم، وعن أبصار الناس أغشية الشبه فيهم، ويحتمل أن يكون طلوع الفجر إشارة إلى طلوع الفجر من جهة المغرب الذي هو من علامات ظهوره.

والمراد بالمؤمنين هم الأئمة عليهم السلام وبيّن أنّهم إنّما سمّوا ملائكة لأنّهم يملكون علم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحفظونه ونزولهم فيها كناية عن حصولهم منها، موافقاً لما ورد في تأويل آية سورة الدخان أنّ الكتاب المبين أمير المؤمنين عليه السلام والليلة المباركة فاطمة عليها السلام.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1].

أي حكيم بعد حكيم وإمام بعد إمام.

وقوله:

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ﴾[2].

على هذا التأويل هي مبتدأ، وسلام خبره، أي ذات سلامة، ومن كلّ أمر متعلّق بسلام، أي لا يضرّها وأولادها ظلم الظالمين، ولا ينقص من درجاتهم المعنوية شيئاً، أو العصمة محفوظة فيهم فهم معصومون من الذنوب والخطأ والزلل إلى أن تظهر دولتهم ويتبيّن لجميع الناس فضلهم[3].

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٢) سورة القدر الآيات: ٤ـ٥.

(٣) المصدر: ٩٩.

هذا وقد ذكرت في رسالة (فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر) أربعة عشر وجه شبهٍ بين فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وبين ليلة القدر، وإجمالها كما يلي:

١ ـ ليلة القدر وعاء زماني للقرآن الكريم، وفاطمة الزهراء وعاء مكاني.

٢ ـ ليلة القدر يفرق فيها كلّ أمر حكيم، كذلك الزهراء عليها السلام فهي الفارق بين الحقّ والباطل.

٣ ـ ليلة القدر معراج الأنبياء لكسب العلوم والفيوضات الإلهيّة، كذلك فاطمة الزهراء فهي مرقاة النبوّة ومعرفتها معراج الأنبياء.

٤ ـ ليلة القدر هي خير من ألف شهر، كذلك تسبيح فاطمة الزهراء تجعل كلّ صلاة بألف صلاة وبمحبّتها تضاعف الأعمال كليلة القدر.

٥ ـ ليلة القدر ليلة مباركة، ومن أسماء فاطمة الزهراء (المباركة) عليها السلام.

٦ ـ علوّ شأن ليلة القدر ومقامها الشامخ بين الليالي، كذلك الزهراء، وأنّه لولاها لما خلق الله محمّداً وعلياً عليهما السلام كما ورد في الخبر الشريف.

٧ ـ العبادات في ليلة القدر تضاعف كرامةً لها، كذلك حبّ الزهراء عليها السلام يوجب تضاعف الأعمال، وإذا كانت ليلة القدر منشأ الفيوضات الإلهية، فكذلك الزهراء والتوسّل بها.

٨ ـ القرآن هو النور ونزل في ليلة القدر ليلة النور، وفاطمة هي النور فهي ليلة القدر كما في تفسير آية النور:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

٩ ـ ليلة القدر ليلة السعادة، وفاطمة سرّ السعادة.

١٠ ـ تقدّست ليلة القدر وما قبلها من الأيام والليالي وما بعدها كرامةً لها وتعظيماً لمقامها، كذلك الزهراء يحترم ذرّيتها ويقدّسون عند الأمّة كرامةً لها وحبّاً بها ولغير ذلك.

١١ ـ ليلة القدر ليلة الخلاص من النار والعتق من جهنّم، كذلك فاطمة تفطم شيعتها من النار وتلتقطهم من المحشر كما يلتقط الطير حبّات القمح.

١٢ ـ ليلة القدر سرّ من أسرار الله، وكذلك الزهراء عليها السلام فهي من سرّ الأسرار.

١٣ ـ ليلة القدر سيّدة الليالي، وفاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة النساء.

١٤ ـ لقد جُهِلَ قدر ليلة القدر، وكذلك فاطمة الزهراء بنت الرسول عليها السلام فقد جهل الناس ـ وما زالوا ـ قدرها، كما أنّها مجهولة القبر إلى ظهور ولدها القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فاطمة الزهراء عليها السلام

في معراج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ من الحقائق الثابتة في حياة النبيّ وسيرته هو معراجه الشريف من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك، ومن ثمّ عرج إلى ربّه قاب قوسين أو أدنى، وقد وردت قصّة المعراج في سورة الإسراء كما وردت في سور النجم، ويقال: إنّ الغرض من سور النجم هو تذكير الناس بالأصول الثلاثة: وحدانية الله في ربوبيّته أي المبدأ، ثمّ المعاد، ثمّ النبوّة بينهما.

فتبدأ السورة بالنبوّة فتصدّق الوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتذكر بعض أوصافه المباركة في قصّة المعراج، ثمّ تتعرّض لوحدانية الله وتنفي الأوثان والشركاء، ثمّ تصف انتهاء الخلق والتدبير إليه تعالى من الإحياء والإماتة وغيرهما، وتختم الكلام بالإشارة إلى المعاد والأمر بالسجدة والعبادة، التي هي الطريق لسعادة الدارين، ومن فلسفة الحياة والخلقة.

ثمّ المقصود مما لوحظ في الآيات الأولى كما في الروايات هو وحي المشافهة الذي أوحاه الله إلى نبيّه ليلة المعراج، وأصل القصّة في سورة الإسراء، إلاّ أنّه في سورة النجم

يشار إلى بعض معالمها، فيقسم ويحلف سبحانه بالنجم إذا هوى ـ بمطلق الجرم السماوي عند سقوطه للغروب أو القرآن لنزوله نجوماً، أو الثريا أو الشعرى أو الشهاب الذي يرمى به شياطين الجنّ ـ.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾[1].

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن الطريق الموصل إلى الله ولا أخطأ في الغاية، فأصاب الواقع في رشده.

﴿وَمَا غَوَىٰ ﴾[2].

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[3].

هوى النفس ورأيها في مطلق نطقه أو ما ينطق به من القرآن الكريم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[4].

من الله سبحانه بالمشافهة أو بواسطة جبرئيل عليه السلام.

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[5].

علّم النبيّ القرآن جبرئيل أو الله الذي هو شديد القوى.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[6].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣.

(٤) سورة النجم، الآية: ٤.

(٥) سورة النجم، الآية: ٥.

(٦) سورة النجم، الآية: ٦.

ذو شدّة أو حصافة العقل والرأي أو نوع من المرور من جبرئيل فاستوى على صورته الأصلية واستولى بقوّته على ما جعله له من الأمر، أو ذو مرّة أي النبيّ ذو شدّة في جنب الله فاستوى واستقام واستقرّ.

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[1].

بالأفق والناحية العليا من السماء، فهو جبرئيل، أو النبيّ بالأفق الأعلى حال استوائه.

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[2].

أي قرب بل واقترب أكثر فأكثر، فقرب جبرئيل من النبيّ ليعرج به إلى السماوات، أو قرب النبيّ من الله سبحانه وزاد في القرب كما هو الظاهر.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾[3].

قاب أي مقدار قوسين أو ذراعين كناية عن شدّة القرب، فكان البعد قدر قوسين أو ذراعين بل واقرب من ذلك.

﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾[4].

فأوحى جبرئيل إلى عبد الله ما أوحى أو أوحى الله بواسطة جبرئيل إلى عبده محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى، كما هو الظاهر.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[5].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٧.

(٢) سورة النجم، الآية: ٨.

(٣) سورة النجم، الآية: ٩.

(٤) سورة النجم، الآية: ١٠.

(٥) سورة النجم، الآية: ١١.

فما كذب فؤاد النبيّ فيما رأى وأراه الله، فشهد النبيّ بفؤاده ما أراده الله وكان صدقاً وحقّاً، فالرؤية هنا لله سبحانه رؤية قلبيّة ولغيره إدراكية قلبية أو حسّية، والفؤاد القلب أو النفس أو الوجود، فما كذب أو كذّب وجود النبيّ ونفسه وفؤاده ما رأى من آيات الله الكبرى، وما قال فؤاده ــ ما رآه ببصره ــ لم أعرفك وكذّبه، ففؤاده صدّق بصره فيما رأى، فما كان يقوله النبيّ ويخبر به الناس كان بما يشاهده عياناً لا عن فكر وتعقّل، فلا مجال لمجادلة المشركين ومماراتهم إيّاه فيما يشاهده عياناً.

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[1].

وهذا توبيخ للمشركين في مجادلتهم النبيّ، فإنّ المجادلة تتمّ في الآراء النظرية والاعتقادات الفكرية لا بما يشاهد بالعيان، فلا تصرّوا على مجادلته.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[2].

النزلة بمعنى النزول الواحد والمرّة، فرأى جبرئيل النبيّ في نزلةٍ أخرى أو رأى النبيّ جبرئيل في نزلة أخرى، فبعد القوس الصعودي في معراجه رأى ما رأى كما سنذكر ثمّ رجع ونزل مرّة أخرى فرأى جبرئيل بصورته الأصلية عند سدرة المنتهى، أو المعنى أنّ النبيّ رأى الله برؤية قلبية أثناء معراجه عند سدرة المنتهى كما رآه في النزلة الأولى.

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[3].

---

(١) سورة النجم، الآية: ١٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١٤-١٦.

السدرة شجرة معروفة وهو اسم مكان ولعلّه منتهى السماوات فإنّ جنّة المأوى عندها والجنّة في السماء، وفي الروايات أنّها شجرة فوق السماء السابعة إليها تنتهي أعمال بني آدم، عندها جنّة المأوى التي يأوي إليها المؤمنون وهي من جنان الآخرة، بعد جنّة اللقاء والأسماء التي هي جنّة الله سبحانه، إذ يغشى السدرة أي يحيط بالسدرة ما يحيط بها.

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[١].

فلم يمل عن الاستقامة ولم يتجاوز الحدّ في العمل فما زاغ بصر النبيّ أنّه يرى على غير ما هو عليه، وما طغى في إدراكه ما لا حقيقة له، والمراد بالإبصار رؤيته بقلبه لا بحاسّة بصره، فما رآه النبيّ في النزلة الأولى الذي ما كذّب الفؤاد ما رأى وفي النزلة الأخرى عند سدرة المنتهى رأى من آيات الله الكبرى التي تدلّ على الله سبحانه.

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[٢].

فشاهد الله برؤية قلبية من خلال بعض آياته الكبرى[٣].

أجل، النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم رأى ما رأى في ليلة معراجه ـ وما أكثر الروايات في هذا الباب بأنّه رأى الجنان والنيران وصلّى خلفه جميع الأنبياء ـ وجاز سرادقات الجمال والجلال والكبرياء فرأى وما كذّب الفؤاد ما رأى، ثمّ ثمرة هذا فؤاد النبيّ المبارك هي فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي سيّدة نساء العالمين عليها السلام: وهي سرّ الوجود وعصارته، فإنّ النبيّ الأعظم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شجرة الوجود كما قال:

«أنا وعلي من شجرةٍ واحدة، وباقي الناس من شجرٍ شتّى».

---

(١) سورة النجم الآية: ١٧.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٣) تفسير الميزان للطباطبائي: سورة النجم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة ثمرة فؤادي وقرّة عيني ومهجة قلبي».

ومن خصائص الثمرة أنّها:

١ ـ عصارة الشجرة وخلاصتها.

٢ ـ قيمة الشجرة بثمرتها.

٣ ـ جمال الشجرة بالثمرة.

٤ ـ تعرف الشجرة بثمرتها كما يقال: هذه شجرة التفّاح.

٥ ـ غاية وجود الشجرة هي الثمرة.

٦ ـ لذّة الشجرة بالثمرة.

٧ ـ حلاوة الشجرة بثمرتها.

٨ ـ مقصود الفلاّح من الأشجار أثمارها.

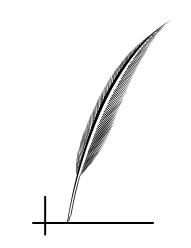
وخصائص كثيرة أخرى.

وإنّ فاطمة الزهراء لهي ثمرة فؤاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فيعلم ويعرف عظمة النبيّ بثمرته، ولولاها ــ وهي حجّة الحجج ــ لولا الحجّة، لما عرف النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فيعرّف النبيّ للملائكة في حديث الكساء بالثمرة (هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها)، فهي غاية الرسول ومقصوده، فهي أمّ أبيها، وهي لذّته وحلاوته وعصارته وخلاصته وجماله، كما هي جمال الله ومقصوده جلّ جلاله.

وقد رأى النبيّ في معراجه في القوسين الصعودي والنزولي ما رأى من آيات الله الكبرى، بل رأى الله سبحانه بقلبه، وما كذب الفؤاد ما رأى، ورؤية العلّة يستلزم رؤية كلّ المعلول، فرؤية الله لازمها رؤية الكون والإحاطة العلمية بما فيه، فالنبيّ أحاط بكلّ

الممكنات وبعالم الإمكان، وفاطمة ثمرة فؤاده رأت الله سبحانه وأحاطت بما سواه، فإنّها ثمرة فؤاد النبيّ الذي رأى الله بقلبه، ورأى الآيات الكبرى في كلّ العوالم والجبروت والملكوت والمثال والسماوات والأرض، كلّ ذلك رآه عند سدرة المنتهى في نزلة أخرى فرأى العرش وما دونه، وتجاوز حجب النور والظلمات حتّى وصل إلى الحجاب الأكبر وهو مقام الإمامة.

فكان النبيّ هو الموج الأوّل في بحر الله سبحانه، كما كان اللمعة الأولى من نوره الأتمّ، ثمّ اشتقّ من نور النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نور علي عليه السلام، ومن نورهما نور فاطمة، ثمّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، ثمّ شيعتهم من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، فكانوا أمواجاً، موجاً بعد موج، ولا يتحقّق هذا القرب إلاّ بالعبودية، فإنّها جوهرة كنهها الربوبية، فأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وأنّ عترته الأطهار عباد الله المكرمون.



العصمة الفاطمية

«أشهد أن فاطمة عصمة الله»

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الحكيم العليم المختار، وقد اختار من خلقه صفوةً ليحملوا رسالاته السماوية، ويبلغوها ويهدوا الناس سواء السبيل وإلى الصراط المستقيم، فإنّه كتب على نفسه الرحمة، فهو اللطيف الخبير، ومن لطفه اختار الأنبياء والرسل للهداية وليقوموا الناس بالقسط، ثمّ اختار الأوصياء خلفاء، ثمّ وفّق العلماء ورثة الأنبياء.

وقد اشترط على الأنبياء الزهد في هذه الدنيا، فإنّ اختيار الله بالاختبار والامتحان والاصطفاء عن حكمة، من دون الوصول إلى حدّ الإلجاء، وإنّ لله الحجّة البالغة، فلابدّ من اختبار لمن يقع عليه الاختيار ولغيره حتّى لا تكون فتنة، ويكون الدين كلّه لله.

فاختبر الأنبياء والأوصياء في عوالم تسبق هذا العالم الناسوتي، فشرط الله سبحانه عليهم الزهد، وعلم منهم الوفاء فقبلهم وقرّبهم وقدّم لهم الذكر العلي والثناء الجلي، كما جاء ذلك في دعاء الندبة[1].

وإنّما اشترط عليهم الزهد، لأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، والنبيّ والوصيّ لابدّ أن يكونا معصومين بقاعدة اللطف وغيره من الأدلّة العقلية والنقلية.

---

(١) راجع آخر مفاتيح الجنان دعاء الندبة الذي يستحب قراءته في الأعياد الأربعة.

فلابدّ أن يزهد في دنياه، ويُعصم من الذنوب ومن كلّ ما يشينه مطلقا، حتّى تطمئنّ النفس إليه، ويؤخذ بقوله وفعله وتقريره مطلقاً، فيكون الأسوة والقدوة على الإطلاق.

وهذا الزهد من شؤون القيادة بصورة عامة المتمثّلة بالنبوّة والإمامة، ومن يحذو حذوهم ويسلك مسالكهم ومناهجهم من العلماء الصالحين.

فيشترط على العالم الرباني الزهد في هذه الدنيا أيضاً، حتّى يؤخذ بقوله ويتّبع أمره، وإذا رأيتم العالم زاهداً فادنوا منه فإنّه يلقى عليه الحكمة وإنّها تتفجّر من ينابيع قلبه، وإنّ الله يرفده ويضيّفه على موائد علمه وحكمته، وإذا رأيتم العالم مقبلاً على دنياه، يخلط الحرام بالحلال، فاتّهموه في دينه، فإنّه لا يؤخذ منه العلم، فلينظر الإنسان إلى علمه ممّ يأخذه، فإنّه من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن تكلّم عن الله فقد عبد الله وإلاّ فلا، فمن ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.

فمن أوّليات شؤون الإمامة والقيادة الروحية على الصعيدين الفردي والاجتماعي إنّما هو الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها.

فعصمة الأنبياء الذاتية المطلقة تبتنى على العلم اللدني أوّلا ـ كما هو ثابت في محلّه ـ وعلى الزهد ثانياً.

وأمّا عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام:

فقد اختارها الله من خلقه واختصّها لذاته واصطفاها لنفسه ليتجلّى فيها أسماؤه وصفاته، وتكون مظهراً لجماله، فإنّه لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم، فقدّم لها الذكر العليّ والثناء الجليّ، بعد أن اختبرها وامتحنها أيضاً، إلاّ أنّها

امتحنها بالصبر، والصبر كما ذكرنا تكراراً هو أمّ الأخلاق وأساسه، فإنّها بمراحلها الثلاث ـ التخلية والتحلية والتجلية ـ مدعومة بالصبر، كما أنّه أساس الكمال.

وإنّما وقفنا على امتحانها بالصبر باعتبار ما ورد في زيارتها في يوم الأحد من كلّ أسبوع، كما في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ﵀:

«السلام عليكِ يا ممتحنة قد امتحنكِ الله قبل أن يخلقك بالصبر فوجدكِ لما امتحنكِ صابرة).

فتجلّت العصمة الإلهية في جمال فاطمة الزهراء؛ إذ جمعت بين نوري النبوّة والإمامة، فعصمتها من العصمة بالمعنى الأخصّ، المختصّة بالأربعة عشر معصوماً ﵈.

وممّا يدلّ على عصمتها:

١ ـ آية التطهير في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١].

فالله الطاهر طهّر بإرادة تكوينية أهل البيت ﵈ ومنهم فاطمة ﵊ وعصمهم بعصمة ذاتية ومطلقة واجبة عقلاً ونقلاً.

٢ ـ إنّها عدل القرآن الكريم لحديث الثقلين المتّفق عليه عند الفريقين ــ السنّة والشيعة ــ ولّما كان القرآن معصوماً فكذلك عدله أهل البيت وعترة الرسول المصطفى ﵈.

٣ ـ إنّها كفؤ علي ولولاه لما كان لها كفؤ آدم وما دونه، ولا يتزوّج المعصومة إلاّ المعصوم، فإنّ الرجال قوّامون على النساء، فلفاطمة ما لعلي ﵉ إلاّ الإمامة.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

فكلّ ما ثبت لعلي عليه السلام بالمطابقة ثبت للزهراء عليها السلام بالالتزام، وكلّ شيء ثبت لفاطمة بالمطابقة ثبت بالدلالة الالتزامية لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

٤ ـ إنّها حوريّة بصورة إنسية، والملائكة معصومون فكذلك فاطمة الحوريّة.

٥ ـ وحدة الإرادة الإلهيّة والفاطميّة، فإنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، وإنّه لم يغضب ليونس صاحب الحوت، بل يغضب لغضبها، فوحدة الإرادة دليل على العصمة.

٦ ـ إنّها سيّدة النساء في الدنيا والآخرة، وكيف تكون سيّدة الأوّلين والآخرين وهي غير معصومة.

٧ ـ آية المباهلة، وقدّم النساء على الأنفس، ربما إشارة إلى أنّ النفوس فداها، (فداكِ أبوكِ) (فداها أبوها).

٨ ـ إنّها العالم العلوي والعالم السفلي في قوسي الصعودي والنزولي.

٩ ـ إنّها صدر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ صدره يحمل القرآن دفعة واحدة وفي ليلة القدر، وليلة القدر هي فاطمة الزهراء عليها السلام.

١٠ ـ لا يعرف قدرها إلاّ من قدّرها، ولا يعرف أسرارها إلاّ من خلقها، ومن أذن له الرحمن.

١١ ـ إنّها مفروضة الطاعة على الخلق مطلقاً، وكيف تكون مفروضة الطاعة على الإطلاق وهي غير معصومة.

١٢ ـ هي حجّة الحجج وأسوتهم ـ كما ورد في الأخبار الشريفة ـ.

١٣ ـ مجمع النورين بحديث الأفلاك، فتحمل أسرار النبوّة والإمامة، وإنّها أمّ أبيها.

١٤ ــ حبل الله الممدود، فلابدّ أن يكون معصوماً، وإلاّ كيف يتمسّك على الإطلاق بما لم يكن معصوماً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة بهجة قلبي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى»[١].

١٥ ـ امتحانها بالصبر وهو أساس الكمال والأخلاق التي منها الزهد.

١٦ ـ علمها اللدنّي.

١٧ ـ الإجماع القطعي الدالّ على عصمتها، كما عند المشايخ الصدوق والمفيد والطوسي وغيرهم.

١٨ ــ الآيات والروايات الكثيرة الدالّة على فضلها وعظمتها، وتعلّقها بعالم الغيب.

١٩ ـ سيرتها وحياتها يفوح منها عطر العصمة الإلهيّة.

ووجوه أخرى يقف عليها المحقّق والمتتبّع، ويعلم بيقين وقطع أنّه لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام عصمة الله الكبرى.

---

(١) فرائد السمطين: ٢، ٦٦.

الشرافة العنصرية

الحوراء الإنسية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[1].

فقوله: (لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة) يعني أنّها جمال الله وحسنه.

ثمّ خلق الله سبحانه آدم أبا البشر من ماء وتراب بيد ملائكته، فهو في خلقته العنصريّة من العناصر الأربعة المادّية، ولكن خلق فاطمة الزهراء عليها السلام في خلقتها العنصرية إنّما كان من شجرة طوبى في الجنّة التي غرسها الله بيده يد القدرة المطلقة، فهي من عنصر ملكوتي في صورة إنسان ناسوتي، فهي الحوراء الإنسيّة.

عن العيون وأمالي الشيخ بسندهما، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها، فأكلت فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[2].

---

(١) فرائد السمطين: ٢، ٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٨، ١١٩.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر تقبيل فاطمة عليها وعلى أبيها وبعلها وأولادها ألف ألف تحيّة وسلام، فأنكرت عائشة ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عائشة، إنّي لمّا أسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلته فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إلاّ وجدت رائحة شجرة طوبى منها»[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«شجرة طوبى شجرة يخرج من جنّة عدن غرسها ربّها بيده»[2].

عن حارثة بن قُدامة قال: حدّثني سلمان قال: حدّثني عمّار وقال: أخبرك عجباً؟ قلت: حدّثني يا عمّار؟ قال: نعم شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام فلمّا أبصرت به نادت:

«أدن لأحدّثك بما كان وبما هو كائن وبما يكون إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة».

قال عمّار فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام يرجع القهقرى، فجرعت برجوعه إذ دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له:

«أدن يا أبا الحسن».

فدنا، فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له: **«تحدّثني أم أحدّثك؟».**

قال عليه السلام: **«الحديث منك يا رسول الله».**

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«كأنّي بك قد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت فرجعت».

---

(١) المصدر السابق: ج٨، ص١٢٠.

(٢) المصدر السابق: ج٨، ١٤٣، عن العياشي.

فقال علي عليه السلام:

«نور فاطمة من نورنا؟».

فقال عليه السلام:

«أوَلا تعلم؟».

فسجد علي شكراً لله تعالى. قال عمّار: فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وخرجت بخروجه، فولج على فاطمة عليها السلام وولجت معه، فقالت:

«كأنك رجعت إلى أبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بما قلته لك؟».

قال عليه السلام:

«كان كذلك يا فاطمة».

فقالت عليها السلام:

«اعلم يا أبا الحسن إنّ الله تعالى خلق نوري، وكان يسبّح الله جلّ جلاله، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنّة، فأضاءت، فلمّا دخل أبي الجنّة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن، المؤمن ينظر بنور الله تعالى».

عن زيد بن موسى بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

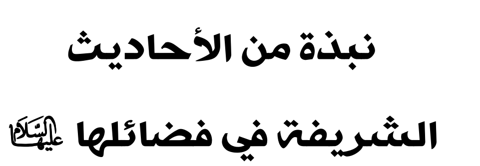
«إن فاطمة خُلقت حورية في صورة إنسية، وإنّ بنات الأنبياء لا يحضن»[1].

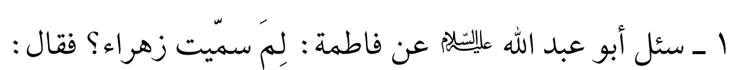
ففاطمة الزهراء حوراء إنسيّة، اشتقّ اسمها من اسم الله ومسمّاها من شجرة غرسها الله بيده، فما أحلى اسمها ومعناها وجمالها وكمالها وجلالها.

(سبحان من فطم بفاطمة من أحبّها من النار)[2].

(١) دلائل الإمامة: ٥٢.

(٢) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: في أعمال شهر رمضان، ٥٧٥.





١ ـ سئل أبو عبد الله عليه السلام عن فاطمة : لِمَ سمّيت زهراء؟ فقال :

«لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض».

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«فاطمة بضعة منّي من سرّها فقد سرّني ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزّ الناس عليّ».

٣ ـ ومن ألقابها عليها السلام : أمّ أبيها.

فقيل : الأمّ بمعنى الأصل والأصالة ، فالزهراء عليها السلام بأولادها الطاهرين الأئمة المعصومين عليهم السلام ومواقفهم وفدائهم وتضحياتهم أعطوا الأصالة لرسالة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، فالإسلام محمّدي الحدوث وحسيني البقاء وكلّهم نور واحد ، فأصبحوا بمنزلة الأصل في ديموميّة الرسالة المحمّدية ، كما قالها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

«حسين منّي وأنا من حسين».

وفاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام أمّ أبيها.

٤ ـــ عـن زيـد بـن موسـى بـسنده عـن علـي عليه السلام قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسيّة، وإنّ بنات الأنبياء لا يحضن»[١].

٥ ـ عن الله تبارك وتعالى:

«يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لماخلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٢].

٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو كان الحُسنُ شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[٣].

٧ ـ عن الحسين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى»[٤].

٨ ـ عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام:

«إنّما سمّيت فاطمة بنت محمّد (الطاهرة) لطهارتها من كلّ دنس وطهارتها من كل رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً»[٥].

---

(١) دلائل الإمامة: ٥٢.

(٢) كشف اللآلئ لصالح بن عبد الوهاب بن العرندس: فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٩. جنة العاصمة للسيد ميرجاني: ١٤٨. ملتقى البحرين للعلامة المرندي: ١٤.

(٣) فرائد السمطين: ٢، ٦٨.

(٤) فرائد السمطين: ٢، ٦٦.

(٥) بحار الأنوار: ٤٣، ١٩.

٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام :

«حرّم الله النساء على عليّ ما دامت فاطمة حيّة: لأنّها طاهرة لا تحيض»[١].

١٠ ـ عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام :

«لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو فاطمة من النساء»[٢].

١١ ـ عن الرضا عليه السلام ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام ، فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها، فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ، ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[٣].

١٢ ـ عن أبي الحسن الثالث عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّما سميّت ابنتي فاطمة لأنّ الله عزّ وجل فطمها وفطم من أحبّها من النار»[٤].

١٣ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل :

«على ساق العرش مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، وعلي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله»[٥].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٣، ٣٣.

(٢) سفينة البحار: ١، ٦٦٣.

(٣) عوالم العلوم والمعارف: ٦، ١٠.

(٤) العوالم: ٦، ٣٠.

(٥) بحر المعارف: ٤٢٨.

١٤ ـ في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار[١]، عن تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر قال:

«إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي الصّديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى».

١٥ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[٢].

الليلة فاطمة الزهراء، والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها»[٣].

ولنعم ما قيل:

مشكاة نور الله جلّ جلاله — زيتونة عم الورى بركاتها

هي قطب دائرة الوجود ونقطة — لمّا تنزلت أكثرت كثراتها

هي أحمد الثاني وأحمد عصرها — هي عنصر التوحيد في عرصاتها

❖ ❖ ❖

فاطمة خير نساء البشر — ومن لها وجه كوجه القمر

فضلك الله على كل الورى — بفضل من خص بآي الزمر

زوجك الله فتى فاضلا — أعني عليا خير من في الحضر

❖ ❖ ❖

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢، ١٠٥.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣، ١٣.

شــــرف الله جمـــــادى الآخــــرة	فغـدت وهـــي جمـادى الفـاخرة
وتباهـــت أشـــهر الحـــول بهـــا	حيـث جـاءت بـالبتول الطـاهرة
وانظـروا العـشرين منهـا لتـروا	فرحـــة الهـــادي عليـــه ظـــاهرة
واجعلـــوه بالتأســـي عيـــدكم	فمـــن الإســـلام ذكـــرى عطـــرة

اسمها في العرش

١٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لّما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً، قال آدم: يا ربّ، هل خلقت أحداً من طين قبلي؟. قال: لا يا آدم.

قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟.

قال: هؤلاء الخمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنّة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتي أنّه لا يأتين أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا أبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[1].

(١) فرائد السمطين: ١، ٣٦.

١٧ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنّة ولا نار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عمّ، لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثمّ مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس.

فلمّا أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله وعلي أفضل من الملائكة.

ثمّ فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض.

ثمّ فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمّ فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين فالجنّة والحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنّة والحور العين»[1].

١٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة في قبة تحت العرش».

---

(١) بحار الأنوار: ١٥، ١٠.

١٩ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل:

«ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة»[١].

٢٠ ـ عن مجاهد: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد فاطمة فقال:

«من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»[٢].

حبّها الإكسير الأعظم

٢١ ـ في حديث طويل عن الله عزّ وجل:

«يا فاطمة، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذّب محبّيكِ ومحبّي عترتك بالنار»[٣].

٢٢ ـ في حديث طويل قال أبو جعفر عليه السلام:

«والله يا جابر، إنّها ذلك اليوم (يوم القيامة) لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا فيقول الله عزّ وجل: يا أحبّائي، ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا ربّ أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبّائي ارجعوا وانظروا من أحبّكم لحبّ فاطمة، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة، انظروا من سقاكم

(١) دلائل الإمامة: ٢٢٨.

(٢) نور الأبصار للشبلنجي: ٥٢.

(٣) سفينة البحار: ٢، ٣٧٥.

شربة لحبّ فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنّة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلاّ شاكّ أو كافر أو منافق»[1].

٢٣ ـ عن ابن عباس:

«والله ما كان لفاطمة كفؤ غير علي عليه السلام»[2].

٢٤ ـ وعن علي عليه السلام:

«والله لقد أخذتُ في أمرها وغسّلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فو الله كانت ميمونة طاهرة مطهّرة.

ثم حنّطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكفّنتها وأدرجتها في أكفانها، فلمّا هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أمّ كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضّة، يا حسن، يا حسين، هلمّوا تزوّدوا من أمّكم فهذا الفراق، واللقاء في الجنّة.

فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: وا حسرتاه، لا تنطفئ أبداً من فقد جدّنا محمّد المصطفى وأمّنا فاطمة الزهراء، يا أمّ الحسن يا أمّ الحسين إذا لقيت جدّنا محمّداً المصطفى فاقرئيه منا السلام وقولي له: إنّا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّي أشهد الله أنّها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمّتهما إلى صدرها مليّاً، وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها فقد أبكيا والله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب».

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣، ٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣، ١٠١.

قال:

«فرفعتهما عن صدرها وجعلت أعقد الرداء وأنا أنشد بهذه الأبيات:

فراقك أعظم الأشياء عندي وفقدك فاطم أدهى الثكول

سأبكي حسرة وأنوح شجوا على خل مضى أسنى سبيل

ألا يا عين جودي وأسعديني فحزني دائم أبكي خليلي»[(١)]

نجاة محبّيها من النار بيدها المباركة

٢٥ ـ في الصحيح عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«لفاطمة وقفةٌ على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ بين عينيه محبّاً (محبّنا) فتقول: إلهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاّني وتولّى ذرّيتي من النار، ووعدُك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجل: صدقتِ يا فاطمة: إنّي سمّيتكِ فاطمة، وفطمتُ بكِ من أحبّكِ وتولاّكِ وأحبّ ذرّيتكِ وتولاّهم من النار، ووعدي الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه، فأُشفّعكِ ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفكِ منّي ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً، فجذبت بيده وأدخلته الجنّة».

٢٦ـ عن أبي الحسن الثالث (الإمام الهادي عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إنما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبّها من النار»[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣، ١٧٩.

(٢) العوالم: ٦، ٣٠.

حديث (لولاك)

من الأحاديث المشهورة، بل كاد يكون متواتراً، من طرق الشيعة، بل وعند السنّة، أنّه ورد في الحديث القدسي في ليلة المعراج: قال الله تعالى:

«يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك».

وعن ابن عساكر عن سلمان قال: قال رسول الله:

«هبط جبرئيل عليّ فقال: إنّ ربّك يقول إن كنت اتّخذت إبراهيم خليلاً فقد اتّخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا»[1].

في الدلائل والحاكم والطبراني والعسقلاني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطّاب عن رسول الله قال:

«لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي، فقال تعالى: يا آدم، وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟، قال: لأنّك يا ربّ لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك فرفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق لديك، فقال تعالى: صدقت يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ، فقال تعالى: وإذا سألتني بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمّدٌ لما خلقتك»[2].

وزاد الطبراني: وهو آخر الأنبياء. وفي المواهب من طرق العامّة روي أنّه لمّا أخرج آدم من الجنّة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كلّ موضع من الجنّة اسم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم مقروناً باسم الله تعالى، فقال يا رب، هذا محمّد من هو؟ فقال الله: هذا

---

(١) المواهب اللدنية: ١، ١٢. تهذيب تأريخ دمشق: ١، ٣٢٣.

(٢) كنز العمال: ٦، ١١٤. دلائل الإمامة: ٥، ٤٨٩. المستدرك: ٢، ٦١٥. المواهب: ١، ٤٣.

ولدك الذي لولاه لما خلقتك، فقال: يا ربّ، بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي يا آدم: لو تشفّعت إلينا بمحمّد في أهل السماوات والأرض لشفّعناك[1].

وفي خبر آخر قرن اسم علي مع محمّد، وفي آخر: محمّد رسول الله أيدته بعليّ.

وفي الدلائل بأسانيده عن عمر بن الخطّاب في ذيل قوله تعالى:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[2].

قال آدم: أسألك بحقّ محمّد وآله إلاّ غفرت لي، فتاب الله عليه وقال: ولولا هو ما خلقتك.

وفي الخصائص العلويّة عن ابن عباس في حديث: ولّما نفخ في آدم من روحه تداخله العجب فقال: يا ربّ خلقت خلقاً هو أحبّ إليك منّي؟ فقال تعالى: نعم ولولاهم ما خلقتك، فقال: يا ربّ أرنيهم، فرفعت الملائكة الحجب فرأى آدم خمسة أشباح قدّام العرش فقال: يا ربّ من هؤلاء؟ قال تعالى: هذا نبييّ وهذا علي أمير المؤمنين ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه فاطمة بنت نبييّ وهذا الحسن والحسين أبناء علي وولد نبييّ، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك، ففرح بذلك، فلمّا اقترف الخطيئة قال آدم: أسالك بمحمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لّما غفرت لي، فغفر الله له فلمّا هبط إلى الأرض، فنقش على خاتمه: محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ويكنّى آدم بأبي محمّد[3] وأبي البشر، وكنية حوّاء أمّ الزهراء.

ومن طرق الإمامية ما رواه الصدوق في الإكمال بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله: فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال عليه السلام:

(١) المواهب: ١، ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٣) تفسير البرهان: ١، ٨٩، عن الخصائص العلوية. تأويل الآيات: ١، ٢٧. بحار الأنوار: ٢٦، ٣٢٥.

«يا علي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، فإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربّنا عزّ وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمورنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة إنّا خلق مخلوقون وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلمّا شاهدوا عظم شأننا، هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله وأنّا عبيد ولسنا بآلهة، يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلاّ الله، فلّما شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا الله لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال، وأنّه عظيم المحلّ، فلمّا شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّة والقوّة، قلنا: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فقالت الملائكة: لا حول ولا قوّة إلا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نِعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة الله تعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده، ثمّ إنّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام وأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراما، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّة، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون»[١].

---

(١) مكيال المكارم: ١، ٣٣.



فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين.

إنّ الله سبحانه وتعالى جميل ويحبّ الجمال، وهو الكمال المطلق ومطلق الكمال، وتجلّى كماله وجماله الأتمّ في أشرف مخلوقاته ومصنوعاته، ذلك نبيّه الأكرم ورسوله الأعظم محمد المصطفى حبيب الله المختار وعترته الأئمة المعصومون الأطهار الأبرار عليهم السلام. فالله الجميل الحسن تجلّى حسنه وجماله في رسوله وعترته، وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة الزهراء، بل هي أعظم»[1].

فسيدة نساء العالمين بضعة النبيّ المختار، تجلّى فيها حسن الله وجماله، فازدهرت السماوات والأرض بنور الزهراء البتول، الذي اشتقّ من نور أبيها وبعلها، وهما من نور الله جلّ جلاله.

وإنّ اللسان ليكلّ عن بيان فضائلها ومناقبها، بل لو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً والجنّ والإنس كتّاباً والسماوات والأرضون أوراقاً ليعدّوا فضائلها

---

(١) فرائد السمطين: ٢، ٦٨.

ومناقب أبيها وبعلها وبنيها الأطهار عليهم السلام ، لما أمكنهم ذلك ، فلا يعرف كنهها وحقيقة فضلها إلاّ الله.

ويكفيك شاهداً في ما أقول ، أنّه قد ورد أنّ الإمام الصادق عليه السلام حين احتضاره جمع أهل بيته وقال لهم في وصيته :

«إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة»[١].

وقد ورد في فضل صلاة الجماعة : لو بلغوا عشراً مع إمام الجماعة فإنّه لو كانت الأشجار أقلاماً والجنّ والإنس والملائكة كتّاباً والبحار مداداً لم يقدروا أن يكتبوا فضلها ، فإنّه لا يعلم ذلك إلاّ الله سبحانه وتعالى[٢] ، كما يذكر ذلك الشهيد الثاني في روض الجنان.

ثمّ ورد في الحديث النبوي الشريف المتواتر :

«بني الإسلام على خمس: الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والولاية، ولم يناد بشيءٍ مثل ما نودي بالولاية»[٣].

فإذا كان ثواب صلاة الجماعة ذلك ، وإذا كان المستخفّ بالصلاة لا ينال الشفاعة ، فبالأولوية لا يعلم مقام الولاية وعظمتها إلاّ الله عزّ وجلّ ، وإنّ من يستخفّ بها يحرم من الشفاعة ، فكيف من ينكرها؟ فإنّه تصيبه اللعنة الأبدية ، ومستقرّه نار جهنّم وبئس الورد المورود.

ثمّ روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند الفريقين السنّة والشيعة ـ :

«مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية»[٤].

---

(١) ميزان الحكمة: ٥، ٤٠٥. بحار الأنوار: ٨٢، ٢٣٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ٦، ٤٤٤.

(٣) الوسائل: ١، ٧، الحديث ١٠.

(٤) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٥١. كما في صحيح مسلم.

وميتة الجاهلية ميتة الكفر والإلحاد.

وقد ورد في الدعاء الشريف: (اللهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللهّم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني)[1].

فإنّ مَن لم يعرف حجّة زمانه، وإمام زمانه، ضلّ عن الدين ومات ميتة الجاهلية، فإنّ أئمة الحقّ من أهل بيت رسول الله هم حجج الله على البرايا والخلائق، وقد ورد في الحديث الشريف:

«فاطمة الزهراء حجّة الله على الأئمة عليهم السلام».

وهذا يعني أنّ مَن لم يعرف فاطمة الزهراء عليها السلام وأنكرها وغصب حقّها، فهو ضالّ عن دين الله القويم، وكان من الكافرين الذين لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب أليم.

فكلّ واحد منّا مكلّف أن يعرفها، كما يجب عليه أن يعرف الله سبحانه وإن كان (ما عرفنا الله حقّ معرفته) فكذلك لا يمكن للبشرية أن تعرف مقام الزهراء عليها السلام حقّ المعرفة، فهي ليلة القدر.

في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار (٤٢، ١٠٥) عن تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال:

«إنّ فاطمة هي ليلة القدر، مَن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة حتّى أقر بفضلها ومحبّتها، وهي الصدّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى».

(١) مفاتيح الجنان: دعاء زمن الغيبة.

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[١].

الليلة فاطمة الزهراء والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت (فاطمة) لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها[٢].

﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣].

وهذا يعني أنّه يمكن للإنسان الذي بعمره الطبيعي أي: ما يقارب الثمانين ونَيِّفاً أن يطوي مراحل الكمال ويسلك طريق الله وصراطه المستقيم، ليصل إلى قمّة الكمال والسعادة، قاب قوسين أو أدنى، يمكنه في ليلة واحدة بنيّة خالصة ومعرفة كاملة، أن يطوي هذا المسير النوراني فيصل إلى قمّة كماله والمقصود من خلقه، وفاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر فمن عرفها حقّ المعرفة فقد أدرك ليلة القدر وعظمتها ومقامها الشامخ، إلاّ أنّ الخلق فطموا عن معرفتها ـ كما يفطم الطفل عن ثدي أمّه ـ بل وما تكاملت النبوّة لنبيّ ـ والنبوّة خلاصة التوحيد ـ فما تكاملت إلاّ من أقرّ بفضلها ومحبّتها، وبالأولوية ما دون النبوّة... فما تكاملت الإمامة، وما تكامل العلماء في علومهم، والحكماء في حِكَمهم، والأدباء في آدابهم، والأتقياء في تقواهم، وكلّ كامل في كماله، حتّى يُقرّ بفضلها ويؤمن بمحبّتها، فهي الصدّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى والأخرى.

---

(١) سورة القدر، الآية: ١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣، ١٣.

(٣) سورة القدر، الآيات: ١-٣.

وحبّهـا مـن الـصفات العاليـة	**عليـه دارت القـرون الخاليـة**
بـأبي فـاطم وقـد فطمـت	**باسـمها نـار حـشرها ولظاهـا**
هـي والله كـوثر قـد أعـدت	**لبنيهـا وكـل مـن والاهـا**
هـي عنـد الإلـه أعظـم خلـق	**وبهـا دار فـي القـرون رحاهـا**

ثمّ هناك تشابه وتقارب كثيران بين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين ليلة القدر، التي يفرق فيها كلّ أمر حكيم، وذلك من خلال عدّة أمور[1] كما تبادر ذلك إلى ذهني القاصر والمقصّر، وذلك بلطف من الله وعناية من رسوله وأهل بيته عليهم السلام.

الأول

ليلة القدر وعاء وظرف زماني لنزول كلّ القرآن الكريم

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[2]، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

لا يأتيه الباطل من بين يديه، وفيه كلّ شيء، وتبيان كلّ شي، وسعادة الدارين، وكذلك الحوراء الإنسية فاطمة الزكيّة، فإنّ قلبها ظرف مكانيّ وروحانيّ، وصدرها وعاء إلهي للقرآن الكريم والمصحف الشريف، وإنّها كانت محدّثة تحدّثها الملائكة، فهي وعاء للإمامة وللمصحف الشريف.

كما كان لها كتابٌ سمّي بمصحف فاطمة، ويعدّ من التراث العلمي عند الشيعة وأئمّتهم الأطهار عليهم السلام.

---

(١) لقد ذكرت أربعة عشر أمرا تيمنا وتبركا باسم الأربعة عشر معصوما عليهم السلام، وهذا غيض من فيض مما يدل على عظمة جلالة مقام السيدة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وأنها من أبرز وأتم مصاديق ليلة القدر، بل من حقائق تلك الليلة المباركة لو عرفنا قدرها وحقها.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام فأجاب قائلاً: إنّ جدّتي فاطمة مكثت بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وكان قد دخل عليها من الحزن على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها ويطيّب نفسها ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة[1].

ولا يخفى أنّ نزول جبرئيل الأمين عليه السلام إنّما لم يكن بعد رسول الله بعنوان الوحي والتشريع الجديد؛ لأنّ برحيل النبيّ انقطع عنّا الوحي التشريعي، أمّا تسليته وحديثه مع سيدة نساء العالمين فإنّه لا ضير فيه، فإنّ فاطمة الزهراء كان يحدّثها الملائكة، فهي المحدّثة ـ بالكسر ـ وإنّها المحدّثة ـ بالفتح ـ.

عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنّما سميت فاطمة محدّثة ـ بالفتح ـ لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك: واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأوّلين والآخرين»[2].

فمريم العذراء لم تكن نبيّة ولكن كانت الملائكة تحدّثها، وكذلك أمّ موسى بن عمران، وسارة امرأة إبراهيم الخليل عليه السلام قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيّة.

(١) بحار الأنوار: ٤٣، ٨٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣، ٧٨.

ومَن أنكر ذلك فإنّه ينكر آيات القرآن وهو كافر، وكذلك فاطمة الزهراء كانت الملائكة تحدّثها ولم تكن نبيّة، وممّا اتّفقت الأمّة عليه من العامّة والخاصّة أنّ الملائكة قد حدّثت أناساً من الرجال والنساء في الأمم الماضية وفي هذه الأمّة ـ كما يذكر ذلك العلاّمة الأميني في كتابه القيّم الغدير (٥، ٤٢) فراجع ـ.

وفي حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام:

«وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها، قال: قلت: هذا والله العلم»[١].

وهناك أحاديث كثيرة في شأن مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام، ما هو قرآناً ولكنّه كلامٌ من كلام الله عزّ وجل، فيه خبر ما كان وخبر ما يكون حتّى فيه أرش الخدش، ويعدّ من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام، وكانوا يرجعون إليه، ثمّ المصحف كما جاء في معاجم اللغة بمعنى قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، ومنه مصحف فاطمة عليها السلام، والشيعة بُراء ممّا ينسب إليهم من بعض المغرضين من أعدائهم، بأنّ لهم قرآناً غير القرآن المجيد، ويسمّى عندهم بمصحف فاطمة، فهذا من الكذب والافتراء و:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾[٢].

الثاني

في ليلة القدر يفرق كلّ أمرٍ أحكمه الله خلال السنة، فيفرق ما يحدث فيها من الأمور الحتمية وغيرها، وينزل بها روح القدس على وليّ العصر والزمان وحجّة الله

(١) بصائر الدرجات: ١٥١. وفاطمة الزهراء: ١٧٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

على الخلق الذي بيُمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، وإنّ الإيمان بليلة القدر فارق بين المؤمن والكافر، كذلك بفاطمة الزهراء الطيّبة الطاهرة المطهّرة يفرق بين الحقّ والباطل، والخير والشرّ، والمؤمن والكافر، وقد ارتدّ الناس في العمل وفي الولاية بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ ثلاثة أو خمسة أو سبعة، وفيهم سيدة النساء فهم على حق، وغيرهم استحوذ عليهم الشيطان فغرّهم وأضلّهم فكانوا أئمة الضلال.

وكما أنّ الصلاة من الأعمال الجوارحية هي الفارق بين المؤمن والكافر، فكذلك في الأعمال الجوانحية والقلبية الفارق بين المؤمن والكافر ولاء الرسول ومودّة أهل بيته فاطمة الزهراء وبعلها وبنيها عليهم السلام، كما أنّ الملائكة كانت تحدّثها وتخبرها بما كان وما يكون ويفرق فيها كلّ أمرٍ حكيم.

الثالث

ليلة القدر معراج الأنبياء والأولياء إلى الله سبحانه فيزاد في علمهم اللّدني والربّاني ويكسبوا من الفيض الأقدس الإلهي.

كذلك ولاية فاطمة المعصومة النقيّة التّقية، فهي مرقاة لوصولهم إلى النبوّة ومقام الرسالة والعظمة والشموخ الإنساني والروحاني، فما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وذلك في عالم.

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1].

أو في عالم الذرّ أو عالم الأنوار أو الأرواح أو النشأة الإنسانية التي تسبق نشأتنا هذه، وهذه إنّما هي صورة لتلك كما عند بعض الأعلام[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) كما يذهب إليه العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان في الآية الشريفة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فراجع.

ففاطمة الزهراء قطب الأولياء والعرفاء ومعراج الأنبياء والأوصياء، صدرها خزانة الأسرار، ووجودها ملتقى الأنوار، فهي حلقة الوصل بين أنوار النبوّة وأنوار الإمامة، فأبوها محمد رسول الله، وبعلها علي وصيّه وخليفته إمام المتّقين وأمير المؤمنين، ومنها أئمّة الحقّ والرشاد وأركان التوحيد وساسة العباد.

الرابع

ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر فيضاعف فيها العمل والثواب كلّ واحدٍ بألف فالتسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير والصلاة وكلّ عمل كلّ واحدٍ بألف، فكذلك محبّة الزهراء وولايتها يوجب مضاعفة الأعمال فإنّ تسبيحها (٣٤ مرّة الله أكبر و٣٣ مرّة الحمد لله و٣٣ مرّة سبحان الله) بعد كلّ صلاة واجبة أو نافلة يجعل كلّ ركعة بألف ركعة كما ورد في الخبر الشريف[١].

فمودّتها هي الإكسير الأعظم، يجعل من كان معدنه الحديد ذهباً، وإنّ الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة، فمَن والاها وأحبّها وأطاعها وأطاع أبناءها الأطهار، وعادى عدوّها وأعداء ذريّتها، فإنّه يكون كالذهب المصفّى وباقي الناس كلّهم التراب، وإنّ الله يضاعف الأعمال بحبّها كما تضاعف في ليلة القدر. وأمّا ما يدلّ على تضاعف العمل في ليلة القدر، فعن حمران: أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٢].

قال:

«نعم هي ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلاّ في ليلة القدر، قال الله عزّ وجلّ:

---

(١) بحار الأنوار: ٢١، ٢٤.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٣.

﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[١].

قال:

يقدر في ليلة القدر كلّ شيءٍ يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود وأجَل ورزق، فما قدّر في تلك السنة وقضى فهو المحتوم ولله عزّ وجلّ فيه المشيّة.

قال: قلت:

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ﴾[٢].

أيّ شيء عنى بذلك؟ فقال:

العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا، ولكنّ الله يضاعف لهم الحسنات»[٣].

الخامس

امتازت ليلة القدر عن كلّ ليالي السنة بالخير والبركة والشرافة والعظمة وعلوّ الشأن والرفعة، كذلك خير نساء الأوّلين والآخرين فاطمة الزهراء عليها السلام فهي خير أهل الأرض والسماء عنصراً وشرفاً وكرامة بعد أبيها الرسول المصطفى وبعلها الوصيّ المرتضى.

جاء في قصّة المعراج في خطاب الله عزّ وجلّ لنبيّه وحبيبه الأكرم:

«يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٤].

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٢) سورة القدر، الآية: ٣.

(٣) الوسائل: ٧، ٢٥٦. ميزان الحكمة: ٨، ٥٩.

(٤) الجنة العاصمة للسيد مير جاني: ١٤٨. كشف اللآلي لصالح عبد الوهاب بن العرندس. ملتقى البحرين: ١٤. مسنداً في كتاب فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٩.

فغاية الخلق هو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الصادر الأوّل ـ لقاعدة الأشرف كما في الفلسفة ـ وقد ورد في الخبر الشريف:

«أوّل ما خلق الله نور محمد».

فهو العلّة التامّة بعد علّة العلل وهو الله سبحانه، ولكن لمثل هذه العلّة التامة في كمالاتها وصفاتها التي هي مظهر لأسماء الله وصفاته، فإنّه الإنسان الكامل والمخلوق الأتمّ، لابدّ لمثل هذه العلّة النورانية والكلمة الإلهية التامة، من معلول يشابهه ويناسخه ـ لقانون العلّة والمعلول كما هو ثابت في الفلسفة والحكمة المتعالية ـ ويكون نفسه، وهو أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وممّا يدلّ على أنّ الوصيّ نفس النبيّ آية المباهلة ـ ثمّ لمثل مقام النبوّة والإمامة، لابدّ من معلول جامع لولايتهما يشابههما ومن نفس النور، وهي فاطمة الزهراء بضعة المصطفى فهي أمّ أبيها[1] ـ كما ورد في ألقابها ـ وقال النبيّ في حقّها:

«فداها أبوها».

فقد خصّها الله من وصائف فضله وشرائف نيله، بأكمل ما أعدّه لغيرها من ذوي النفوس القدسية والأخلاق الزكية، وأشرق صبح النبوّة بمحيّاها، وانفلق صباح الإمامة بغرّتها، فهي أمّ الكمالات الإنسانية والملائكية، فكأنّ طينتها قد عجنت بماء الحياة، وعين الفضل، في حظيرة القدس، قاب قوسين أو أدنى، فهي نور الحقّ وحقيقة النور، وآية الصدق وصدق الآيات، فتعالى مجدها وتوالى إحسانها، بضعة الرسول وبهجة قلبه وفلذة كبده، أمّ الحسنين والأئمة الأطهار، وحبيبة الله، وتفّاحة الفردوس المنصورة في السماء، فاطمة الزهراء تحفة ربّ العالمين، قد فطمها الله من الأدناس الروحانية والجسمانية كما فطم شيعتها وذريتها من النار، فاشتقّ اسمها من فاطر السماوات والأرض، لتكون

(١) المناقب: ٣، ٣٥٧.

مظهراً للصفات الربوبية، وهي بقية النبوّة، ولولا فاطمة لما قام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم للدين عمود ولا اخضرّ له عود، وبنورها زهرت السماوات، فهي أمّ الخيرة والأخيار وأمّ الفضائل والأزهار وأمّ العلوم والكتاب وشفيعة يوم الحساب، من عرفها أدرك ليلة القدر، ومن أدرك ليلة القدر كان من السعداء في الدارين، فمعرفتها توجب سعادة الدارين، كما أنّ إنكار فضلها ومقامها وحقّها يوجب شقاوة الدارين.

السادس

ليلة القدر ليلة مباركة:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[1].

والبركة بمعنى النماء والزيادة والخير المستمرّ والمستقرّ الدائم والثابت وما يأتي من قبله الخير الكثير، ومن ألقاب فاطمة الزهراء أنّها (المباركة) ففيها كلّ بركات السماوات والأرض، فهي الكوثر في الدنيا والآخرة، وهي المنهل العذب والمعين الصافي لكلّ من أراد البركة، فما أدراك ما فاطمة، خير مَن في الوجود بعد أبيها وبعلها.

ولو كن النساء كمثل هذه ... لفضلت النساء على الرجال

ولا التأنيث لاسم الشمس عار ... ولا التذكير فخر للهلال

وقال آخر:

هي مشكاة نور الله جل جلاله ... زيتونة عم الورى بركاتها

فهي الكوثر، والكوثر الخير الكثير:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[2].

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٢) سورة الكوثر، الآية: ١.

ومنها ذرّية الرسول الأكرم، وعدم انقطاع نسله إلى يوم القيامة، وفي وصف النبي: إنّما نسله من مباركة لها بيت في الجنّة لا صخبٌ فيه ولا نصب[١].

السابع

العبادة في ليلة القدر تكون منشأ للفيوضات الإلهية، والكمالات الربانية، والفيوضات القدسية، والبركات السماوية، كذلك التوسّل بفاطمة الزهراء فهي منشأ البركات الخيرات.

وإذا كانت فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر من أحفاد فاطمة الزهراء عليها السلام مَن زارها عارفاً بحقّها وجبت له الجنّة، كما ورد ذلك عن جدّها الإمام الصادق عليه السلام قبل ولادتها في قوله عليه السلام:

«إنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنّة»[٢].

وإذا نقول في زيارتها (يا فاطمة اشفعي لي في الجنّة فإنّ لك عند الله شأناً من الشأن)، فكيف بأمّها فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّ مَن زارها وعرف حقّها وفضلها وجبت له الجنّة، ومَن يدخل الجنّة فهو السعيد حقّاً لقوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾[٣].

وقال النبي الأكرم لسبطيه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام:

«أنتما الإمامان ولأمّكما الشفاعة».

وقد جاء في الروايات فضل زيارتها، وأنّ زائرها يغفر له ويدخل الجنّة.

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ١٦٢. بحار الأنوار: ٤٣، ٢٢.

(٢) سفينة البحار: ٢، ٤٤٦، (قم).

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٨.

الثامن

نزل القرآن الكريم وهو النور والفرقان والبيان والتبيان في ليلة القدر، فليلة القدر ليلة نزول النور الإلهي، وفاطمة الزهراء عليها السلام هي نور الله، وهي الكوكب الدرّي، كما جاء ذلك في تفسير آية النور في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1].

عن موسى بن القاسم عن علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن ـ الإمام الكاظم عليه السلام ـ عن قول الله عزّ وجلّ:

﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

قال:

«المشكاة فاطمة والمصباح الحسن والحسين».

﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾.

قال:

«كانت فاطمة كوكباً دُريّاً من نساء العالمين».

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾.

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

قال:

«الشجرة المباركة إبراهيم».

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾.

قال:

«لا يهودية ولا نصرانية».

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾.

قال:

«يكاد العلم أن ينطق منها».

﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

قال:

«فيها إمام بعد إمام».

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

قال:

«يهدي الله عزّ وجلّ لولايتنا من يشاء»[1].

عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

«اعلم يا أبا الحسن أنّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبّح الله جلّ جلاله، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنّة فأضاءت، فلمّا دخل أبي الجنة أوحى الله إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل،

(١) المناقب: لابن المغازي (من علماء أبناء العامة): ٣١٧.

فأودعني الله سبحانه صلب أبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني، وأنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى».

وما أروع ما يقوله الشاعر:

مشكاة نور الله جل جلاله	**زيتونة عم الورى بركاتها**
هي قطب دائرة الوجود ونقطة	**لما تنزلت أكثرت كثراتها**
هي أحمد الثاني وأحمد عصرها	**هي عنصر التوحيد في عرصاتها**

ويقول المحقق العلاّمة الشيخ محمد باقر صاحب (الخصائص الفاطمية) في كتابه:

سبحانك اللّهم يا فاطر السماوات العلى وفالق الحبّ والنوى، أنت الذي فطرت اسماً من اسمك واشتَقَقْتَهُ من نورك، فوهبت اسمك بنورك حتى يكون هو المظهر لظهورك، فجعلت ذلك الاسم أصلاً لجملة أسمائك وذلك النور أرومة لسيدة إمائك، وناديت بالملأ الأعلى:

أنا الفاطر وهي فاطمة، وبنورها ظهرت الأشياء من الفاتحة إلى الخاتمة، فاسمها اسمك ونورها نورك وظهورها ظهورك، ولا إله غيرك، وكلّ كمالٍ ظلّك وكلّ وجود ظلّ وجودك.

فلمّا فطرتها فطمتها عن الكدورات البشرية واختصصتها بالخصائص الفاطمية، مفطومة عن الرعونات العنصرية، ونزّهتها عن جميع النقائص، مجموعة من الخصائل المرضية بحيث عجزت العقول عن إدراكها.

والناس فطموا عن كنه معرفتها، فدعا الأملاك في الأفلاك بالنورية السماوية وبفاطمة المنصورة... أمّ السبطين وأكبر حجج الله على الخافقين، ريحانة سدرة المنتهى

وكلمة التقوى والعروة الوثقى وستر الله المرخى والسعيدة العظمى والمريم الكبرى والصلاة الوسطى والإنسية الحوراء التي بمعرفتها دارت القرون الأولى.

وكيف أحصي ثناها وإنّ فضائلها لا تحصى وفواضلها لا تقضى، البتول العذراء والحرّة البيضاء، أمّ أبيها وسيدة شيعتها وبنيها، ملكة الأنبياء الصديقة فاطمة الزهراء عليها سلام الله[١].

عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«لّما خلق الله الجنّة خلقها من نور وجهه، ثمّ أخذ ذلك النور فقذفه، فأصابني ثلث النور وأصاب فاطمة ثلث النور وأصاب علياً وأهل بيته ثلث النور، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمد ومَن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمد»[٢].

عالم الأنوار عالم خاص يسبق هذا العالم الجسماني المادي، وإنّما نؤمن بعالم الأنوار وما فيه من المعاني والعلوم والحقائق لما أخبرنا به الصادق الأمين المصدّق النبي الأكرم محمد وعترته الأبرار الأئمة الأطهار عليهم السلام، فهم أهل البيت عليهم السلام وهم أدرى بما في البيت، وإلاّ فإنّ عقول البشر لولاهم لما أدركت من هذه العوالم النورانية شيئاً.

فهم باب الله ووجهه الذي يتوجّه إليه الأولياء، بهم فتح الله وبهم يختم، فهم نور الأخيار من الملائكة والثقلين، وكانوا أنواراً بعرش الله محدقين فَمنّ الله علينا بهم فجعلهم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه[٣].

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٢٤. الخصائص الفاطمية: ١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣، ٤٤.

(٣) جاءت مضامين هذه المعتقدات الحقّة في زيارة الجامعة الكبيرة، فراجع.

التاسع

كثير من الناس أدركتهم السعادة في ليلة القدر، فهي ليلة السعادة، وكذلك السيدة فاطمة الزهراء، فهي سرّ السعادة، ومحبّتها ومعرفتها والاقتداء بها وإطاعتها ونصرتها يوجب السعادة الأبدية، ويحلّق الإنسان في آفاق الكمال ويسبح في يمّ الجلال.

وكم من شاهد وقصة تدلّ على أنّ هناك من أدركتهم السعادة ببركة فاطمة الزهراء عليها السلام كما أنّ الله هدى ذلك المجوسي وأهل بيته إلى الإسلام فأسلموا جميعاً لما أكرم العلوية التي جاءت إليه تشكو حالها، كما يحدّثنا بذلك العلاّمة المجلسي رحمه الله في كتابه القيّم[1].

العاشر

إنّ الله سبحانه جعل حريماً لكلّ أمر مقدّس ومعظّم، فإنّه لا صلاة إلاّ بطهور وتكبيرة الإحرام، وإنّ الحجر الأسود ومكّة المكرّمة جعل لها حرماً، فلا يدخلها إلاّ من كان محرماً وقد حرّم على نفسه الملاذّ، كالنساء واستعمال الطيب ولبس المخيط وطلب الراحة كالاستظلال، فكان للحجر الأسود مواقيت، وتقدّست بقعة من الأرض لأجله، ولأنّ مكة المكرمة والكعبة المعظمة مهبط الوحي ونزول الرسالة المحمدية السمحاء المتمثّلة بالقرآن الكريم، فمكة المكرمة مكان نزول القرآن وليلة القدر زمان نزوله، وصار للكعبة حرماً إثر عظمة الوحي، وكذلك شهر رمضان، فإنّه نزل القرآن كلّه في ليلة قدره، ولكن سرت القداسة والتكريم والتعظيم إلى كلّ أيام وليالي الشهر، بل تشرّف ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن فأقسم به الله في سورة العصر، كما أقسم بالمكان الذي نزل فيه الوحي:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣، ٢٢٥-٢٣٦، فراجع.

(٢) سورة البلد، الآية: ١.

فشعاع الوحي والقرآن الكريم قد نوّر ميداناً وسعياً في الزمان والمكان.

فما تقدّس عند ربّك الأكرم الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، فإنّه يكون له حريم مقدسٌ وتوابع مقدسة، كليلة القدر بشرفها تشرّفت ليالي شهر رمضان وأيامه.

وكذلك فاطمة الزهراء تقدّست عند ربّها، فوجب إجلالها وإكرامها، بل وينبغي تعظيم ذريتها ومودّتهم وتكريمهم، فإنّه ألفُ عينٍ لأجل عينٍ تكرم، فوجب على كلّ مسلم إكرام السادة والذرية الطيّبة، من ولد فاطمة الزهراء وعلي المرتضى عليهما السلام، فالصالح منهم يكرّم لله والطالح منهم لرسوله وعترته.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة.

قال: فيقبل قوم يمشي النور من بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة فيقول أهل الجمع: هؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة، فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع سلوهم من أنتم؟ فيقول أهل الجمع: من أنتم؟.

فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرية محمد رسول الله، نحن أولاد علي ولي الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون، فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل: اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون»[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام، قال:

«النظر إلى ذريتنا عبادة».

---

(١) البحار: ج٩٣، ص٢١٧، عن أمالي الصدوق : ١٧٠

فقيل له: يا ابن رسول الله النظر إلى الأئمة منكم عبادة، أم النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال:

«بل النظر إلى جميع ذرية النبي عبادة».

وفي رواية أخرى:

«ما لم يفارقوا منهاجه ولم يتلوثوا بالمعاصي».

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند اضطرارهم، والمحب لهم بقلبه ولسانه»[١].

وعنه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار»[٢].

وعن حماد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار»؟.

فقال عليه السلام:

«المعتقون من النار هم ولد بطنها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم».

فتشرف بنو الزهراء بأمهم الطاهرة المطهرة، وحرمت أجسادهم على النار، ونالوا العلا بنسبتهم إلى السيدة المعصومة، كما تشرفت ليالي شهر رمضان المبارك بليلة القدر.

---

(١) المصدر، عن عيون أخبار الرضا ١: ٢٥٣

(٢) المصدر نفسه.

الحادي عشر

إن الله سبحانه وتعالى قد دعا عباده لضيافتهم العامة في شهر رمضان المبارك، فالصائم وافد على الله وضيفه ولكل ضيفٍ قرىً، وقرى الله الإعتاق من النار ودخول الجنة، وإن الله يغفر لعباده الصائمين ويعتق الرقاب من جهنم، وامتازت ليلة القدر من بين ليالي رمضان وأيامها، أنه يعتق فيها ما يعادل العتق في الشهر كله، فإنها خيرٌ من ألف شهر، كما جاء نص ذلك في الأخبار.

وفاطمة الزهراء عليها السلام سمّيت فاطمة، لأنّها تفطم شيعتها من النار وتعتق رقابهم وتدخلهم الجنّة.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله فطمها وفطم مَن أحبّها من النار»[2].

قال النبي:

«إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله فطمها وفطم محبّيها عن النار»[3].

عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّا فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي مَن تولاني وتولّى ذريتي من النار ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) فرائد السمطين: ٢، ٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣، ١٦.

الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقتِ يا فاطمة إنّي سمّيتكِ فاطمة وفطمت بكِ مَن أحبّكِ وتولاّكِ وأحبّ ذريتكِ وتولاّهم من النار، ووعدي الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد»[1].

الثاني عشر

انفردت ليلة القدر بعظمتها وشموخها من بين ليالي السنة، فليس لها مثل ولا نظير، فهي سيدة الليالي والأيام.

وفاطمة الزهراء عليها السلام لا مثيل لها بين النساء، فهي سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة، ولولا أمير المؤمنين علي المرتضى عليه السلام لما كان لها كفؤ من الرجال آدم ومن دونه، وهذا ما نصّت عليه الأخبار الشريفة عند الفريقين السنّة والشيعة.

روى العلاّمة المجلسي رحمه الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فاطمة سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّها لَتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف مَلَك من المقرّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]»[3].

وعن المفضّل، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن قول رسول الله في فاطمة إنّها سيدة نساء العالمين، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال عليه السلام:

«ذاك مريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين»[4].

---

(١) المصدر السابق: ج٤٣، ص١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣، ٤٩.

(٤) العوالم: ١١، ٤٦.

وعن الحسن بن زياد العطّار، قال: قلت لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة أسيدة نساء عالمها؟.

قال:

«ذاك مريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنّة من الأولين والآخرين»(١).

قال العلاّمة المحقق السيد شرف الدين العاملي صاحب كتابي المراجعات والنصّ والاجتهاد: تفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ عنه عند أئمة العترة الطاهرة وأوليائهم من الامامية وغيرهم، وصرّح بأفضليتها على سائر النساء ـ حتّى السيدة مريم ـ كثير من محققي السنّة والجماعة كالتقي السبكي والجلال السيوطي والبدر والزركشي والتقي المقريزي وابن أبي داود والمناوي فيما نقله عنهم العلاّمة النبهاني في (فضائل الزهراء) في كتابه (الشرف المؤيّد: ٥٩)، وهذا هو الذي صرّح به السيد أحمد زيني الدحلان مفتي الشافعية، ونقله عن عدد من أعلامهم وذلك حيث أورد تزويج فاطمة بعلي في سيرته النبوية(٢).

وأمّا (لولا علي لما كان كفؤ لها) فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمَن دونه»(٣).

فسلام الله عليكِ يا مولاتي سيدة نساء العالمين أبداً، وعلى أبيكِ وبعلكِ وبنيكِ وذرّيتكِ وشيعتكِ ومحبّيكِ، ورزقنا الله في الدنيا زيارتكِ وفي الآخرة شفاعتكِ وشفاعة محمد وآله، آمين.

---

(١) المصدر السابق: ج١١، ص٤٩.

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٩٤، عن هامش (النصّ والاجتهاد)، المورد ٨، الصفحة:١١٤.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣، ١٠.

الثالث عشر

ذات الله سبحانه سرّ لا يعلمه إلاّ هو، وله في خلقه أسرار لا يعلمها إلاّ هو ورسوله والراسخون في العلم من عترة النبي الهادي المختار صلى الله عليه وآله وسلم. وليلة القدر سرّ من أسرار الله. وفاطمة الزهراء عليها السلام عصمة الله وسرّ من أسراره العظمى، لا يعرف حقيقتها ومقامها الرفيع وآياتها الباهرة إلاّ الله ورسوله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فهي سرّ في وجودها وفي ولادتها وحياتها ورحلتها إلى جوار ربّها. فهي تفاحة الفردوس تؤنس أمّها في بطنها، وتولدها نساء الجنّة بعد أن قاطعت نساء قريش أمّها خديجة الكبرى عليها السلام. قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتاني جبرئيل بتفاحة من الجنّة فأكلتها، وواقعت خديجة فحملت بفاطمة، فقالت إنّي حملت حملاً خفيفاً، فإذا خرجت حدّثني الذي في بطني، فلمّا أرادت أن تضع بعث إلى نساء قريش ليأتينها فيلين منها ما يلي النساء ممّن تلد، فلم يفعلن، وقلن: لا نأتيكِ وقد صرتِ زوجة محمد»[1].

عن السيدة خديجة الكبرى، قالت: (لّما حملت بفاطمة حملت حملاً خفيفاً وتحدّثني في بطني، فلمّا قربت ولادتها دخل عليّ أربع نسوة عليهنّ من الجمال والنور ما لا يوصف، فقالت إحداهنّ: أنا أمّك حوّاء، وقالت الأخرى: أنا آسية بنت مزاحم، وقالت الأخرى أنا كلثم أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم بنت عمران أمّ عيسى، جئنا لنليَ من أمركِ ما تلي النساء، فولدت فاطمة فوقعت على الأرض ساجدة رافعة إصبعها)[2].

وفي حديث طويل عن الإمام الصادق عليه السلام:

«فدخل رسول الله يوماً وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها: يا خديجة مَن يحدّثك؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني، فقال لها:

---

(١) ذخائر العقبى: ٤٤.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ١٩٨. فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ١٢٩.

هـذا جبرئيـل بـشّرني أنّهـا أنثـى وأنّهـا النـسلة الطـاهرة الميمونـة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمّة في الأمّة»[1].

وأمّا حياتها ووجودها الطاهر فحافل بالكرامات والمناقب والفضائل يكلّ اللسان عن بيانه، فهي الإنسية الحوراء الزكية الطاهرة، تشترك مع أبيها وبعلها وبنيها الأطهار في العصمة والقرآن، وأنّهم الصراط المستقيم، وكلمات الله التي تلقّاها آدم لتوبته، وأنّها من آيات النور والتطهير والذين آمنوا وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ومرج البحرين والإيثار والإطعام ونزول الملائكة في ليلة القدر وعشرات آيات القرآن الأخرى، وأنّها تشترك معهم في النورانية وبدء خلقهم قبل آدم وعرض ولايتهم على الأشياء وسبق دخولهم الجنّة يوم القيامة، وأنّهم في حضيرة القدس، وأنهم خير خلق الله واصطفاهم الله من بين خلقه وكرّمهم تكريماً، وأنّها تحت قبّة العرش، وعرض حبّهم على البريةّ وولايتهم في عالم الذرّ، وأنّها تشترك معهم في الصلوات والسلام عليهم، وعدم عذاب محبّيها ومحبّي عترتها بالنار، وأنّ رضاها من رضا الله ورسوله، وبكاء العرش والملائكة لبكائها، وأنّ زواجها كان بأمرٍ من الله وأنّ زوجها سيداً في الدنيا والآخرة، وأنّها أحبّ الخلق إلى ربّها، وقد باهل بها النبي نصارى نجران، وأنّ الأئمة الأطهار من ولدها، وأنّ المهديّ من آل محمد المنتظر عجل الله فرجه من ولدها، وأنّ حبّها ينفع في مائة موطن، وأنّ الله يغضب لغضبها، وقد فرض طاعتها وطاعة أولادها المعصومين على جميع الكائنات، وأنّ الرحى كانت تدور من دون مباشرتها لها، وكان المَلك يحرّك مهد ولدها، وأنّ النبي كرّمها غاية التكريم فكان يقوم إليها عند قدومها ويقبّل رأسها وصدرها ويدها، ولا ينام حتى يقبّل عرض وجهها، فكانت أحبّ الناس إلى النبيّ الأعظم. وغير ذلك من المناقب والكرامات التي تدلّ بوضوح على أنّها سرّ مكنون من أسرار الله سبحانه وتعالى[2].

---

(١) بحار الأنوار: ١٦، ٨٠.

(٢) راجع في ما ذكرنا من الإشارة إلى بعض مناقبها كتاب (فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى).

الرابع عشر

ليلة القدر قد جهلها الناس من حيث الليالي ومن حيث القدر والمنزلة فقطعوا وفطموا عن معرفتها، كذلك البضعة الأحمدية والجزء المحمدي فهي مجهولة القدر.

«وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها».

كما جهل قدرها أولئك الظَلَمة الكَفَرة أحرقوا بابها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها وغصبوا فدكها وحقّها، ولم ينصروها فخفى على الناس مقامها وقدرها حتّى قبرها الشريف وتأريخ وفاتها، ليكون شاهداً في التأريخ على مظلوميّتها وشهادتها ومظلومية بعلها (اللهم العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك).

عن مجاهد: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذٌ بيد فاطمة فقال:

«مَن عرف هذه فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي وهي قلبي وهي روحي التي بين جنبيّ من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[1].

ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض»[2].

ومن طرق العامة، عن نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن زاذان، عن سلمان، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

بحار الأنوار: ٤٣. المعالم: ١١. وغير ذلك من الكتب التي تتحدث عن سيدة نساء العالمين عليها السلام.

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٥٢. (وحب فاطمة الزهراء عليها السلام هو الفرض وتمام الفرض وقبول الفرض لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصر رضاه في رضاها فقال: «والله يا فاطمة لا يرضى الله حتى ترضي ولا أرضى حتى ترضي»، ومعنى هذا الرمز أن فاطمة عليها السلام ينبوع الأسرار وشمس العصمة ومقر الحكمة لأنها بضعة النبي وحبيبة الولي ومعدن السر الإلهي، فمن غضبت عليه أم الأبرار فقد غضب عليه نبيه ووليه، ومن غضب عليه النبي والولي فهو الشقي كل الشقي. مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي: ٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣، ٥٤. وقد ذكر العلامة الأميني في غديره هذا الحديث على اختلاف ألفاظه وذكر تسعة وخمسين مصدرا له من صحاح العامة ومسانيدها، فراجع.

«يا سلمان، من أحبّ فاطمة بنتي فهو في الجنّة معي ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان، حبّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضِيَت عنه ابنتي فاطمة رضِيتُ عنه ومن رضيتُ عنه رضى الله عنه، ومَنْ غضبت عليه غضبتُ عليه ومن غضبتُ عليه غضب الله عليه، يا سلمان، ويلٌ لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين علياً وويلٌ لمن يظلم ذريتها وشيعتها»[1].

وممّا يقطع أنياط القلب ويُميت الإنسان الغيور كمداً وحزناً رواية فاطمة الزهراء عليها السلام قصة مظلوميتها وسبب شهادتها قائلةً:

«فجمعوا الحطب الجزل على بابي وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب وناشدتهم الله، بالله وبأبي أن يكفّوا عنّا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ مولاه فضرب به على عضدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله، فردّه عليّ وأنا حامل، فسقطت لوجهي والنار تسعر ويسفع في وجهي فيضربني بيده حتّى انتثر قرطي من أذني وجاءني المخاض فأسقطت محسناً بغير جرم»[2].

أللّهم العن أوّل ظالم ظلم محمداً وآل محمد وآخر تابع له على ذلك، أللّهم العن العصابة التي جاهدت فاطمة الزهراء وغصبت حقّها وأسقطت جنينها وكسرت ضلعها وشايعت وبايعت على ذلك، أللّهم العنهم جميعاً لعناً وبيلاً من بدء الخلق إلى يوم الدين، آمين آمين، لا أرضى بواحدة حتّى يضاف إليها ألف (آمين)، ورحم الله عبداً قال: آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) فرائد السمطين: ٢، ٦٧.

(٢) بيت الأحزان: ٩٨، لخاتم المحدثين الشيخ عباس القمي. راجع كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١، ١٩-٢٠.

بعض الكتب المؤلّفة عن الزهراء عليها السلام

لقد كُتب عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الكثير، وبلغات عديدة ومن جميع المذاهب والطوائف حتى المسيحيين، ويتجاوز المطبوع المئات من الكتب والرسائل، وقد جمع بعضها الأستاذ علي محمد علي دخيل زهاء ثلاثمائة ونيف من الكتب، جاء ذكرها في نهاية كتاب (فاطمة الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى) للشيخ أحمد الرحماني الهمداني، ويعدّ من الكتب القيّمة التي تبيّن جوانب من حياة السيدة ومقامها الشامخ، أوصي القرّاء الكرام بمطالعته.

وإليكم بعض المؤلفات العربية التي تتحدّث عن الزهراء عليها السلام بتفصيل، وقد سجّلت حياتها بإكبار وإجلال، فمنها:

١ـ إتحاف السائل بما لفاطمة رضي الله عنها من الفضائل، محمد حجازي الشافعي.

٢ـ أخبار فاطمة عليها السلام، أبو علي الصولي، وأيضا عبد الله بن أبي زيد الأنباري، وكذلك محمد بن أحمد بن عبد الله، ومحمد بن زكريا بن دينار.

٣ـ الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة، جلال الدين السيوطي.

٤ـ الدرة البيضاء في أحوال فاطمة الزهراء، جمال الدين محمد بن الحسين الواعظ.

٥ـ الدرة البيضاء في تأريخ حياة فاطمة الزهراء (جزءان)، نجم الدين الشريف العسكري.

٦ـ الروضة الزهراء في مناقب فاطمة الزهراء، محمد بن أحمد بن أحمد الخزاعي.

٧ـ زهد فاطمة، الشيخ الصدوق.

٨ـ خطبة فاطمة وشرحها، لأبي مخنف الأزدي، ولابن عبدون، وللسيد عبد الله شبر، ولخليل لكمرني، ولفضل علي القزويني، ولتاج العلماء، ولهادي البنابي، ولمحمد نجف الكرماني، ولمسلم الجابري، ولمحمد تقي القمي، ولأحمد بن عبد الرحيم.

٨ـ الفتح والبشرى في مناقب فاطمة الزهراء، محمد الجفري.

١٠ـ قصة فدك والظلامة الفاطمية، للناصر الحق إمام الزيدية، وللاسكافي ابن الجنيد، ولإبراهيم الثقفي، ولأبي محمد الأطروش، وللبلخي، ولعبد الرحمن الهاشمي، ولعبيد الله الأنباري، وليحيى الرماشيري، وللجلودي، ولأبي الحبيش، وللشهيد الصدر، وغيرهم.

١١ـ البتول الزهراء، محمد حسين شمس الدين.

١٢ـ بيت الأحزان، خاتم المحدثين الشيخ عباس القمي.

١٣ـ الزهراء في السنّة والتأريخ والأدب، محمد كاظم الكفائي.

١٤ـ فاطمة بنت محمد أمّ الشهداء وسيدة النساء، عمر أبو النصر.

١٥ـ الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء، السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

١٦ـ مصادر الدراسة عن الزهراء، علي محمد علي دخيل.

١٧ـ مناقب الفاطمية، إبراهيم بن محسن الكاشاني.

١٨ـ النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية، عبد الرزاق كمونة.

١٩ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني.

٢٠ـ الصديقة فاطمة الزهراء، لجنة التأليف.

٢١ـ فاطمة الزهراء قدوة وأسوة، السيد محمد تقي المدرسي.

٢٢ـ مناقب الزهراء، السيد غلام رضا الكسائي.

٢٣ـ الأنوار اللامعة في تواريخ سيدتنا فاطمة، الشيخ محمد رضا المجلسي.

٢٤ـ البتول فاطمة الزهراء، عبد الفتاح عبد المقصود المصري، وآخر للدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.

٢٥ـ تأريخ فاطمة الزهراء، في بحار الأنوار، المجلد ٤٣.

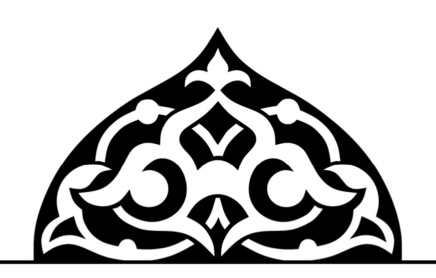
٢٦ـ حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، محمود الشلبي.

٢٧ـ الزهراء عليها السلام، الشيخ محمد حسين المظفر.

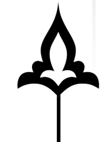
٢٨ـ عوالم العلوم، الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، المجلد ١١.

٢٩ـ فاطمة الزهراء أمّ أبيها، شاكر الأنصاري، وآخر للدكتورة بنت الشاطئ.

٣٠ـ اليد البيضاء في مناقب الزهراء، الشيخ علي أكبر النهاوندي.



عصمة الحوراء زينب عليها السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مَنّ علينا بآلائه، وحبانا بنعمه، ووفّقنا لخدمة خلقه، حمداً يليق بشأنه، ونثني عليه شاكرين ونمجّده مادحين، وأنّى يبلغ المادح مدحه والحامد ثناءه، والصلاة على الشجرة الزيتونة المباركة وعلى فرعها ولقاحها وثمرها وورقها ـ أعني بذلك محمّداً وآله الطاهرين ـ وسلّم تسليماً كثيراً.

لقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه».

وتطبيقاً لهذا الحديث ولكي يكون المرء مصداقاً للمعلّم والمتعلّم، سارع مكتب آية الله العظمى المرجع الديني الكبير الشيخ ميرزا جواد التبريزي رحمه الله من خلال الإخوة القائمين عليه سماحة الشيخ عباس الهزاع وسماحة الشيخ محمد أبي سعود (حفظهما الله تعالى) إلى اغتنام فرصة حضور علم من أعلام الحوزة العلمية، وفرع من فروع الدوحة المحمّدية، وعنوان من عناوين الولاية العلوية، سماحة العلاّمة الحجّة سيّدنا الفقيه الأستاذ الأجلّ السيّد عادل العلوي (حفظه الله تعالى)، والتمسوا منه أن يفيض على إخوته في بلاد الشام ـ وفي رحلته الشاميّة[1] ـ ممّا رزقه الله تعالى من العلم والمعرفة. وكما هو ديدن هذا العالم العامل، لم يتأخّر في إجابة هذه الدعوة، فاتّفقت الكلمة أن

(١) طالت الرحلة شهرين متتابعين، وألقى الأستاذ أكثر من خمسة وخمسين محاضرة إسلامية في أماكن مختلفة من مكاتب المراجع والحسينيات والمساجد، وقد تصدى لضبط المحاضرات وتحريرها جماعة ممن حضر عند السيد الأستاذ دروسا في حوزة قم العلمية المباركة.

يكون الكلام عن مقام صاحبة المكان الشريف فخر المخدّرات وسليلة الطهر والنقاء، السّيدة زينب الكبرى، وكانت الأيام المباركة أيام ولادتها الميمونة، فراح خَدَمة الدين والمذهب الإخوة القائمون على مكتب آية الله العظمى التبريزي ﵀ بنشر الخبر وتهيئة المكان اللائق بهذه الأبحاث وتقديم كلّ ما يخدم المحاضر والحاضرين، وليس هذا بعجيب، حيث أنّه ديدن المخلصين الذين لا همّ لهم إلاّ نشر علوم أهل البيت ﵈ من إحقاق الحقّ ودحض الباطل ومحاربة أهل البدع والضلالات. ولكي يكتمل العمل وتعمّ الفائدة جميع من له رغبة بتوطيد العلاقة بالسّيدة العظيمة زينب وبأهلها الأطهار سارع المكتب أيضا بنشر هذا العلم وإخراجه إلى أيدي القرّاء المحبين لعلوم أهل البيت ﵈، والذين يطلبون الحقّ والحقيقة، فصاروا بذلك مصداقاً آخرَ لحديث آخر عن النبي ﷺ:

«ما تصدّق الناس بصدقة مثل علمٍ ينشر».

ولكي ينشر هذا العلم ويصل إلى أيدي محبّيه، أحببت أن تحرّر هذه المحاضرات، فاستأذنت سيّدنا الأستاذ بكتابة هذا العلم النافع وإخراجه بصورة ميسّرة ولغة سهلة ينتفع منها عامّة المؤمنين، فاستجاب لي شاكراً لطفه إذ جعلني بذلك من العاملين لخدمة أهل البيت وشيعتهم، فبادرت إلى كتابة هذه المحاضرات لكي تكون أثراً جميلاً من آثار أهل العلم والمعرفة، وهذا ما حثّ عليه الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«قيّدوا العلم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته».

فتمّت كتابة هذه المحاضرات ووضعت عليها تعليقاً يبيّن مراد المحاضر بنحو يسهل على كلّ قارئ فهمه، متجنّباً الإسهاب والتعقيد، علماً أنّ هذه المحاضرات ألقيت في سنة ١٤١٢هـ أوّل ربيع الثاني، فنسأل الله تعالى أن يثيبنا على عملنا هذا، إنّه جوادٌ كريم.

الشيخ علي الفتلاوي

سوريا ـ دمشق ـ السيّدة زينب ﵑ

المحاضرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد المصطفى وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنّ الحديث ليحلو عن مقام الحوراء زينب عليها السلام، سيّما ونحن في رحابها الواسع وفي أيام ولادتها المباركة، وإنّما اخترت هذا الموضع لما للمكان من أثر، حيث إنّي حللتُ ضيفاً عليها، فوحياً من مكانها تاقت النفس للحديث عنها، ولما لزيارتها من إشعاع روحي ينعكس على كلّ من دخل إليها مستعدّاً بقلبه وعقله لتلقّي هذا الإشعاع، وكلامي عنها مبيّناً عظمتها، لأنّها سلام الله عليها باب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[1].

(١) **الوسائل: ١٧، ٢٤٢. تأريخ بغداد: ١١، ٢٠٤. جاء الحديث فيه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت من الباب». في مستدرك الصحيحين: ٣، ١٢٦. عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». كما تعلم أنه لا يجوز الدخول من غير الباب المخصص فيأخذك إلى غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره باطل محض، ومراد سيدنا الأستاذ بقوله: «وعلي باب رسول الله»، أي الوسيلة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أمير المؤمنين عليه السلام ومن وصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد دخل في الرحمة الإلهية لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رحمة الله للعالمين، ودخل في الأمن الإلهي لأنه أمان للبشرية،** ←

كما أنّه عليه السلام باب الله الذي منه يؤتى، كذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم باب الله تعالى كما ورد في الزيارة الشريفة: (أنتم باب الله الذي منه يؤتى)[١]، فتكون زينب الكبرى عليها السلام باب الله تعالى لو حذفنا الوسائط[٢]، فإذن من له حاجة عند أمير المؤمنين عليه السلام لابدّ أن يدخل إليه من الباب المقصود، ألا وهو زينب عليها السلام، وهذا المعنى ـ كون زينب باب أمير المؤمنين عليه السلام ـ حدّثني به سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى النجفي المرعشي رحمه الله، كما هو عند أهل السيرة والسلوك إلى الله تعالى، فنحن إذن على باب من أبواب الله تعالى وفي رحاب السيّدة الحوراء زينب الكبرى عليها السلام، وسنتطرّق إلى الحديث عن عظمة هذه السيّدة الكبرى لنبيّن مضمون العبارة الرائعة التي قرأتها على سيّارة بعض المؤمنين التي تقول: (السيّدة زينب روضة العلم والنور)، وحيث إنّها سلام الله عليها كذلك فلنستمدّ معاً من علمها ومن نورها ممّا يجعلنا نعيش في هذه الروضة ونهتدي بنورها إن شاء الله تعالى.

لقد كتب لنا التأريخ عن العشّاق، وأجمل ما كتب عن قيس العامري العاشق، مجنون ليلى، فإنّه كان يمرّ على جدران ديار ليلى بعد أن فارقته، وكان يقبّل هذه الجدران بلهفة المشتاق وعطش العاشق، فلامه الناس على ذلك ووصفوا هذا الفعل بالجنون، فردّ عليهم بقوله الرائع الذي صاغه ببيت من الشعر، فقال:

واستضاء بنوره لأنّه سراج منير.

(١) ورد هذا المقطع الشريف في الزيارة، ومراده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو باب إلى الله تعالى وهو الوسيلة إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ﴾ (النساء: ٦٤)، فحيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابا من أبواب الله تعالى ووسيلة إليه، فلابد من الولوج إلى الرحمة الإلهية من الباب الذي فتحه لنا واتخاذ الوسيلة التي لها قابلية أن توصلنا لله تعالى ولأنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق طرا فهو الباب الأوسع والوسيلة الأسرع.

(٢) أي لو حذفنا الواسطة بينها عليها السلام.

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فالحبّ يعلّم الإنسان ماذا يفعل مع الحبيب في حضرته، وكيف يتعامل مع ديار الحبيب وآثاره، هكذا نحن عندما ندخل على حبيبة الله وحبيبة أمير المؤمنين عليه السلام وحبيبة الإمام الحسين عليه السلام، حبيبة أهل البيت عليهم السلام، فنقبّل الأبواب والضريح ونقول لمن يعترض على ذلك كما قال قيس العامري[١]، فإذا وقف الإنسان على جمال حبيبه، فإنّه يعشقه لأنّ الإنسان يعشق الجمال، وإذا عشق الحبيب لجماله، سيقبّل جداره وكلّ آثاره لو لم يتمكّن من تقبيله، فلا يُشكل علينا أنّ هذا الفعل شرك[٢] والذين توهّموا الشرك

---

(١) نعم نقول كما قال قيس العامري، ولكن لا نستدلّ بقول قيس بل هو شاهد من التأريخ، وحيث كان رده منطقيا فاستشهدنا به، وإلا لنا دليلنا المتين كما في جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي (٢٠، ١٧٢)، حديث طويل إلى أن قال: فزرنا لله شكرا لما عرفنا وقبلنا الأرض بين يديه وسألناه عما أردنا فأُجبنا، فحملنا إليه الأموال الخبر: ومعناه عندما التقوا بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف فعلوا ذلك ولم يردعهم عنه، فجاز أن نقبل ما يمت لهم بصلة تعظيما وحبا، كما أنه ورد في السنة المتفق عليها عند الفريقين تقبيل الحجر الأسود في الحج، وينقل أن أحد علمائنا الكبار عند تشرفه بزيارة بيت الله الحرام وعند لقائه بالملك في السعودية جعل مصحفا في جلد خروف وأهداه إلى الملك، ولما عرف الملك ذلك قبل القرآن، ولكن فوق الجلد، فقال العالم: لم قبلت الجلد أيها الملك؟ قال: إنما قبلت القرآن الذي في باطن الجلد وهذا هو قصدي، فقال العالم: وهكذا الشيعة يقبلون الضريح وقصدهم من في الضريح وليس الحديد أو الخشب، وإنما كتبت هذه القصة كشاهد في المقام للاستدلال بها، ونقول في التفسير إن النبي يعقوب عليه السلام لما ألقوا عليه قميص يوسف عليه السلام وارتد بصيرا بإذن الله تعالى، فكان للقميص أثر وضعي بإذن الله تعالى.

(٢) إن الشرك له معنى عند أهل التفسير والعقائد ألا وهو عبادة غير الله مع الله سبحانه، ونحن عندما نفعل هذا التعظيم لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولذرياتهم الكريمة فليس المقصود منه العبادة، ولا يقول أحد من الشيعة ـ عامتهم أو علمائهم ـ إننا نرى في صاحب الضريح له أو يفعل فعل الإله بالاستدلال، ومن في قلبه شك في كلامي فليرجع إلى كتبهم ومن في قلبه مرض ندعو الله تعالى أن يزيل مرضه.

في هذه الأفعال إنّما ينشأ توهّمهم هذا من عدم معرفة مقام أهل البيت عليهم السلام معرفة جمالية، ولو أنّهم عرفوا مقامهم سلام الله عليهم لفعلوا كما فعل قيس العامري إلاّ أنّ معرفتهم لأئمة المسلمين حقّاً معرفة جلالية مع أنّ لهم رتبة أخرى لا يعرفهم فيها إلاّ الله سبحانه، وهذه المعرفة هي الرتبة العليا في المعرفة وتسمّى المعرفة الكمالية[1]، وبناءً على

---

(١) قسم الأستاذ المعرفة الإلهية على ثلاثة أقسام:

أولها ـ المعرفة الجلالية، والتي معناها سلب النقص عن المعرف وبيان الحدود، فقولنا الله تعالى ليس بجسم، ليس متحدا مع غيره، ليس في جهة وغيرها من الصفات التي يجل الله تعالى عنها وتسمى الصفات الجلالية، وعند بيان أنه تعالى واجب الوجود وليس ممكن الوجود فنكون قد بينا الفرق بينه وبين مخلوقاته، هذه هي المعرفة الجلالية.

ثانيها ـ المعرفة الجمالية، وهي أن نعرف الله تعالى بصفات الجمال وأنه يتصف بالعلم والقدرة والحياة وبصفات أفعالية كالرزاق والخالق وغيرها.

ثالثها ـ المعرفة الكمالية، وهي المعرفة التامة أي معرفة الكنه والحقيقة، وهذه ممتنعة على المخلوق ولا يعرف الله بهذه المعرفة إلا الله تعالى لأنه هو الذي يعمل ذاته ولأنه لا محدود فلا يحيط به شيء وهو يحيط بكل شيء، وقد وردت روايات كثيرة تؤكد هذا.

وأما معرفة النبي وأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام لله تعالى فهي معرفة جمالية إلاّ أنها أعلى مراتب المعرفة الجمالية لأن المعرفة الجمالية لها مراتب متفاوتة، وأما المعرفة الكمالية فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما عرفناك حق معرفتك»، وهكذا أهل البيت عليهم السلام هناك من يعرفهم معرفة جلالية أي بسلب النقوص عنهم في الرتبة البشرية وأنهم يجلون عن غيرهم وأهل المعصية والفجور والزلل والخلل والوهم والانحراف والاشتباه والالتباس، كما ورد ذلك في الزيارة الجامعة التي سوف تأتي إن شاء الله كما أنهم يعرفون بالمعرفة الجمالية أي نعرفهم كما يعرفهم سلمان المحمدي بأنهم أهل الفضل ولهم أعلى الرتب في كل كمال فضلا عن تنزههم عن كل نقص، ولهم معرفة أخرى هي المعرفة الكمالية أي الإحاطة بكنههم وحقيقتهم، وهذه لا يرتقي إليها مخلوق إلا هم، فهم يعرفون حقيقة أنفسهم فقط والله من ورائهم محيط فلذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «يا علي ما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا»، وهذه الرتب تجري على سيدتنا زينب لأنها من أهل البيت عليهم السلام إلا أنهم حجج الله تعالى وخلفاؤه ولهم من الصفات والحقيقة التي لا يدانيهم فيها حتى مثل زينب عليها السلام، ولكن لابد أن نعرفها بالمعارف الثلاث حتى نطلع على مقامها الشامخ.

هذا فإذا أردنا معرفة السيّدة الجليلة الجميلة الكاملة زينب الكبرى عليها السلام لابدّ لنا أن نعرفها بهذه الرتب الثلاث من المعرفة التي ستكسبنا أدباً وخضوعاً وحبّاً وعشقاً زينبياً، لأنّها باب الله تعالى الذي منه يؤتى، ووسيلته التي إليه ترجى، فحديثي سيكون عن عظمة هذه السيّدة التي لو رأينا جمالها لوصلنا إلى مقام الفناء[١] في وصفها وتمام الانبهار بجمالها، فالعبارة التي قرأتها على تلك السيارة (السيدة زينب روضة العلم والنور) سواء قصد كاتبها ما فهمت أولم يقصد فإنّ زينب الكبرى هكذا حقّاً، ولكن لابدّ من معرفة عمق هذه العبارة وكيف تكون روضة العلم والنور؟ ولماذا لا نحسّ هذا النور سيّما ونحن بجوارها وحول ضريحها؟ لماذا لا يُذهب نورها ظلمتنا؟ لماذا لا يرفع علمها جهلنا؟ لماذا لا يطيّب عطرها أرواحنا؟ لماذا لا تعلو حقيقتها على أوهامنا؟

نحن نعلم أنّ الذي يقف أمام نورٍ حسّي سيتكوّن خلفه ظلّ وظلمة، ويتصاغر هذا الظلّ وتنحدر هذه الظلمة كلّما اقتربنا من النور، فما يعيشه الإنسان من الجهل الذي خلق من الظلمة، وجُعل له جنودٌ وهي الصفات الذميمة وكلّها ظلمانية، كما خُلق العقل من النور وجعل الله له جنوداً نورانية كما في حديث العقل في كتاب الكافي.

فالظلمات التي يعشها الإنسان هي السبب في هذا البعد عن الحقّ والحقيقة.

فيا تُرى عندما ندخل حرم السيّدة عليها السلام ولا نشعر بالنورانية وبالعلم الإلهي، فما ألفناه من المناظر الشيطانية كلّ يوم في الشوارع والأسواق والأزقّة والسيارات العامّة، أهو الحجاب أم الأدران المعنوية أم كلاهما؟ والحقّ أقول إنّ المناظر الشيطانية لها دورها الذي لا يستهان به[٢]، ولكن الظلمة القلبية الناشئة من الذنوب لها دورها

---

(١) المقامات التي يصل إليها المؤمن في السير والسلوك الذي تعلق قلبه بالمعشوق سواء كان هذا المعشوق هو الله تعالى، أو من يحبه الله تعالى، فهي متعددة ومنها مقام الفناء أي أن العاشق يكون مرآة المعشوق.

(٢) إن المشاهد أو المناظر سواء كانت رحمانية أو شيطانية لها أثرها على القلب والروح ولذلك جاء ←

الأكبر[١] ، ويكفي شاهداً على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٢]

فلكثرة هذه المشاهد الشيطانية يموت فينا هذا الإيمان الضعيف، فنعتاد على رؤيتها وتستأنسها النفوس وهذا ما أحسسته[٣] ، فإذن لابدّ من علاج لما نحن فيه ولا أرى علاجاً ناجحاً لهذه اللوثة إلاّ معرفة زينب العقيلة كما هو اللائق بها، لأنّ القلب لو تنجّس بشيء من هذه القاذورات فإنّه يطهر بدخوله إلى حضرة هذه اللبوة الطاهرة ويخرج منها طاهراً مرّة أخرى، وكما أنّ الماء يطهّر البدن فزينب تطهّر القلب والروح ولا قياس[٤] ، فبعطرها

→

الحديث الشريف بمعاشرة (من يذكركم الله رؤيته) أي انظروا إلى من يذكركم بالله تعالى وعاشروه لكي يكون رفيق صلاح لقلوبكم، وإن النظرة الثانية للمرأة الأجنبية سهم من سهام الشيطان.

(١) نعم ذكر أهل الحديث عن إمامنا الصادق عليه السلام: «إن أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء»، وكلما ازداد الذنب اتسعت النكتة حتى تستولي على القلب جميعه فيكون قلبا محجوبا ومنكوسا بسواده عن الحق وهناك للذنوب آثار أخرى كثيرة وعليكم بمراجعة كتب الحديث لتعرفوا مضار الذنوب، كما لسيدنا الأستاذ كتاب (التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعترة) وهو مطبوع ضمن المجلد الرابع من موسوعته الكبرى (رسالات إسلامية) فراجع.

(٢) مستدرك الوسائل، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الثالث، الخبر السابع، عن كتاب قصار الجمل.

(٣) إن ظاهر سيدنا الأستاذ دام عزه يدل على أنه حاو على رتبة عالية من الإيمان، فلو قال إن رتبة أضعف الإيمان ماتت لتكرر المشاهد الشيطانية فليس مراده أنه بقي بلا إيمان وإنما مراده أن النهي عن المنكر في القلب يستوجب رتبة ضئيلة من الإيمان وهي المعبر عنها في الحديث بـ(أضعف الإيمان) فلو تركنا النهي بقلوبنا لكثرة المشاهد الشيطانية نكون قد قتلنا هذه الرتبة الضئيلة وهذا ما أحسه السيد حفظه الله تعالى.

(٤) أي لا قياس بين المطهر المادي وآثاره وبين المطهر المعنوي وآثاره لما للمطهر المعنوي من أهمية كبيرة في حياة البشر.

نتعطّر وبطهرها نتطهّر، وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1]:

«إن من وقف قرب بائع العطر يصيبه شيء من ذلك العطر».

وهكذا الذي يدخل إلى العطر المعنوي ينغمس فيه فسيكون مصدرا للعطر أينما حلّ، فلنعرف زينبَ، ولنزر زينبَ، لتجب لنا الجنّة، فإنّ من زارها عارفاً بحقّها وجبت له الجنّة[2]، وإن لم نعدم الثواب في زيارة بلا معرفة، إلاّ أنّ السعادة الأخرويّة واللذّة المعنويّة، لا تتمّ إلاّ بزيارة محاطة بمعرفة كمالية أو جمالية، فبزيارة كهذه تتغيّر جواهر القلوب، وترتفع الحجب الظلمانية، وتفتح الأقفال.

ربما يتبادر إلى الذهن أنّ هذه الكلمات إنشاء محض وهذا التبادر ناشئ من التسرّع في الحكم، فنحن نقول: المعرفة من العرفان في مقابل العلم[3] وربما يكونان مترادفين، إلاّ أنّا نرى أنّ هناك فرقاً بين العلم والمعرفة، فالعلم يهتمّ بالكلّيات والمعرفة تهتمّ بالجزئيّات، فيطلق على الله تعالى عالم ولا يطلق عليه عارف[4] فالمعرفة كلّي تشكيكي

---

(١) جاء في الحديث عن رفيق السوء وعشرته وعن رفيق الصلاح وعشرته: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن مثل جليس السوء كمثل نافخ الكير فإن لم يصبك من رائحة كيره أصابك من سواده، ومثل الجليس الصالح كبائع الطيب فإن لم يصبك من طيبه أصابك من رائحته».

(٢) ورد في حق السيدة فاطمة المعصومة أخت الإمام الرضا عليه السلام: عن سعد الأشعري القمي، عن الرضا عليه السلام قال: «يا سعد عندكم لنا قبر؟» قلت: جعلت فداك قبر فاطمة عليها السلام بنت موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «بلى، من زارها عارفا بحقها فله الجنة»، فما بالك بزينب، فإنه من الأولى أن يكون لزائرها الجنة إذا كان عارفا لأنها كفاطمة المعصومة إذا لم تكن أعلى وأرفع، وهذا من تنقيح المناط عند الأستاذ دام ظله.

(٣) هنا الكلام يدور عن العلم والمعرفة، ولو أردنا أن نتجاوز هذا الهامش لكان بالإمكان كتابة فصل خاص بذلك، ولكن نبين ذلك بحسب ما يسمح به المقام، فنقول: إن الفرق بين العلم بالمعنى الأعم والعرفان المأخوذ من المعرفة، فإن المعرفة عبارة عن إدراك الجزئيات والعلم عبارة عن إدراك الكليات، وقيل: إن المعرفة تصور والعلم تصديق، ولمثل هذا يقال: كل عالم عارف، وليس كل عارف عالماً.

(٤) لا يطلق على الله تعالى عارف لأن المعرفة أخص من العلم وهي علم بالشيء مفصلا عما سواه ←

لها مراتب[(١)] طويلة وعرضية[(٢)] وبالمعرفة توزن الأشياء، ولهذا قال مولى الموحّدين عليه السلام :

«تكلّموا تعرفوا، فإنّ الإنسان مخبوء تحت طيّات لسانه»[(٣)].

وجاء أيضا :

«تكلّموا يرحمكم الله، فبالكلام يعرف قدركم».

فالمعرفة إذن هي أسّ الكمال لكلّ قابل لها[(٤)] وهي على ثلاثة أنحاء ـ كما ذكرنا ـ جلالية ؛ وجمالية ؛ وكمالية ؛ وأقرب هذا بالمثال (فإنّك لو رأيت جبلاً عن بعد فإنّك ستعرفه بحدوده وإنّه لم يكن شجراً أو حيواناً أو شيئاً آخر إنّما هو جبل ، وهذه معرفة جلالية ، ولكن لو اقتربت منه ورأيت جماله وصلابته وشموخه فهذه معرفة جمالية ، وعندما تصعد عليه وترى كنهه وواقعه فهذه معرفة كمالية» ، وهكذا معرفتنا للأئمة الأطهار عليهم السلام . ورد في الزيارة الجامعة : (ما من وضيع ولا شريف ولا عالم ولا جاهل إلا عرف جلالة قدركم)[(٥)] ، أي حتّى عدوّهم يشهد بفضلهم لأنّه يعرفهم معرفة

أي علم بالجزئيات، والعلم هو إحاطة بالكليات والجزئيات والله تعالى محيط بالكليات والجزئيات، فلذلك نطلق عليه عالماً ولا نطلق عليه عارفاً تعالى عن ذلك.

(١) مراده من الكلي التشكيكي: أي أن مفهوم المعرفة مفهوم كلي ينطبق على مصاديقه وهذه المعرفة ذات مراتب متعددة وهذا مراده من كلمة تشكيكي، والكلي التشكيكي ما يتفاوت في التقدم والتأخر والضعف أو الأولوية ويقابله الكلي المتواطي كالإنسان.

(٢) طويلة وعرضية: أي مراتب المعرفة إحداها في طول الأخرى أي تليها ومتوقفة عليها فتسمى مراتب طويلة، وأخرى معرفة في قبال معرفة موازية لها فتسمى عرضية.

(٣) نهج البلاغة/ قصار الكلمات، ومعناها أن قيمة الإنسان تحدد من كلامه، ويستدل عليه أنه صادق أو كاذب، عالم أو جاهل من خلال كلامه، لأنّ الكلام صفة المتكلم، والظاهر عنوان الباطن.

(٤) أس الكمال القابل لها: أي أن المعرفة هي الأساس الأول والأهم في كمال كل من له قابلية لحمل هذه المعرفة وهذا القيد، لأن المعرفة مختصة بمن له إدراك دون سواه.

(٥) مفاتيح الجنان للمحدث القمي: ٦١٠.

جلالية، وهناك من يعرف أمير المؤمنين عليه السلام والسيّدة زينب عليها السلام بمعرفة جمالية فلذلك استحقّ سلمان الإخلاص سلمان التقوى، أن يكون من أهل البيت عليهم السلام فقالوا في حقه:

«سلمان منّا أهل البيت»[1].

فتراه ملازماً لأمير المؤمنين عليه السلام فكلّما دخل الأصحاب المسجد وجدوا سلمان بجوار مولاه يشرب من معينه الصافي ونميره العذب، فاتفقوا على أن يسبقوا سلمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام فبكّروا بالمجيء وفعلاً لم يجدوا في الطريق إلاّ آثار أقدام الإمام عليه السلام ففرحوا بذلك، ولكن ما أن وصلوا المسجد، وإذا بسلمان جالس عند أمير المؤمنين عليه السلام، فتفاجئوا فقالوا: يا سلمان، من أين أتيت؟ أنزلت من السماء أم خرجت من الأرض؟ فقال سلمان: إنّما جئت من حيث جئتم، فقالوا: فأين آثار أقدامك؟ فقال: إني لّما رأيت أقدام أمير المؤمنين عليه السلام فوضعت أقدامي عليها، لأنّي أعلم أنّه لا يضع قدماً ولا يرفعها إلاّ بحكمة وعلم، هكذا يعرف سلمان مولاه وهكذا يقتفي أثره، فمعرفة سلمان معرفة جمالية ولكن لأمير المؤمنين عليه السلام معرفة أخرى وهي المعرفة الكمالية وهذه منحصرة بالله تعالى ورسوله حيث أكّد ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي، ما عرفك إلاّ الله وأنا...»[2].

---

(١) «سلمان منا أهل البيت» هذا حديث مشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأيضا ورد في الدرجات الرفيعة عن أبي جعفر عليه السلام وفي البحار عنه أيضا عليه السلام ومراد الأئمة عليهم السلام وسيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن سلمان منهم أي على نهجهم وفكرهم وسلوكهم ويطابقهم القدم بالقدم والنعل بالنعل، بل ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خلق من طينتنا وروحه مقرونة بروحنا... وهناك كلام طويل فليراجع عنه في الكتب المؤلفة فيه.

(٢) هذا حديث نبوي مشهور: «إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمير المؤمنين: يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا»، وهنا يشار إلى أن معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين لله تعالى معرفة تفوق معرفة جميع الخلق ومختصة بهما مع الأئمة الأطهار وفاطمة الزهراء عليهم السلام وأنهم لا يعرفهم حق المعرفة إلا الله تعالى أي بالمعرفة الكمالية.

لأنّه لا يعرف حقيقة الولي والحجّة وباطن أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ من كان محيطاً بذلك تمام الإحاطة، وإن شاء الله في المحاضرات الآتية سنعرف زينبَ بشيء من المعرفة الجمالية من خلال أحاديثهم الشريفة، وهذا ما نفهمه من قول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«أنتِ عالمة غير معلّمة».

فبكلامه هذا أراد أن يعرفنا جمالها وعظمتها فمثل هذا الكلام من الإمام المعصوم عليه السلام إشارة إلى جمال زينب عليها السلام، وهذا أبوها أمير المؤمنين عليه السلام عندما يدخل عليها وهي تفسّر القرآن الكريم للنساء وفي آية:

﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1].

فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى سرّ هذه الحروف المقطّعة فقال:

«ك يعني كربلاء وما سيجري فيها على زينب»[2].

وورد في روايات العرش أنّه كتب على العرش:

«زينة العرش الإلهي علي بن أبي طالب»[3].

وكتب في اللوح المحفوظ:

«زينة اللوح المحفوظ زينب».

---

(١) سورة مريم، ١.

(٢) (كهيعص) هذه الحروف المقطعة في سورة مريم آية (١)، لها من التأويل في قضية كربلاء، وإن كل حرف يدل على شيء وحدث في كربلاء مذكور في محله، فالكاف تدل على كربلاء، والهاء هلاك يزيد، والصاد تدل على صبر الحسين، والعين عطشه، وغير ذلك.

(٣) لمعرفة هذه الكتابة على العرش راجع كتاب السيد العلوي (هذه هي الولاية) المجلس الخامس من الموسوعة (رسالات إسلامية)، وكذلك (الإمام الحسين في العرش الإلهي) و(زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ) في المجلد السادس من الموسوعة.

وهـذا الحـديث إشـارة صـريحة إلى جمـال زينـب، فـإذن مـن خـلال معرفتنـا لجمالها عليها السلام نزداد حبّاً لها، ومن خلال ازدياد الحبّ نزداد أدباً وشوقاً، ومن خلال الأدب والحبّ نزداد علماً ونوراً في روضتها ودوحة علمها وعنوان بطولتها وصبرها.

العلم كثير ومنه ما هو نافع، ومنه ما هو ضارّ، وفيه ما لا نفع فيه إذا عُلم، ولا ضرر فيه إذا جُهل، وهذا ما يوضحه الحديث المروي: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فوجد الناس قد تجمهروا على رجل فقال:

«ما هذا؟».

قالوا: علاّمة يا رسول الله، فقال:

«وما العلاّمة؟».

قالوا: إنّه أعرف بأنساب العرب وأشعارها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«هذا علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه، إنّما العلم ثلاث: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنّة قائمة، وما خلاهن فضل»[1].

فمن دراية هذا الحديث كما عند الفيض الكاشاني في كتاب الحقائق يقول: هذه الكلمات الثلاث إشارة إلى علوم ثلاثة تنفع في الدنيا والآخرة وفي عالم القبر، فالمراد بـ(آية محكمة) يعني علم الكلام لأنّ علم الكلام الذي هو علم العقائد، علم المبدأ والمعاد وما بينهما لا يثبت إلاّ بالآية المحكمة ألا وهي البرهان العقلي الذي لا يجوز فيه التقليد[2].

---

(١) قوله: «ما خلاهن فضل» أي أن العلوم البشرية لها أهمية كبرى لكنها تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية والحاجة البشرية لها بعد العلوم الإلهية بحيث يصل التكليف فيها حد الوجوب الكفائي وأحيانا يتعداه إلى الوجوب العيني حسب حاجة الأمة الإسلامية وأهمية هذه الحاجة فلتراجع كتب الفقه الاستدلالي في ذلك.

(٢) أي أن أصول الدين التي هي العقائد لا يجوز فيها التقليد، بل لابد من الاستدلال والقناعة الخاصة بذلك، إلا أنه يقال في حق من ليس له القدرة على الاستدلال أنه يكفي منه بحسبه ولكن عن قناعة تامة.

ومن الشواهد على ذلك قصّة الفلاّح الذي دخل عليه رجل وسأله بأيّ شيء تستدلّ على وجود الله تعالى، انزعج الفلاّح من هذا السؤال ثمّ رفع المسحاة وضرب الرجل على رأسه وقال: بهذا أستدلّ[١]، ورواية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي مرّ على عجوز بيدها مغزلها وسألها عن وجود الله تعالى فقالت: أستدلّ عليه بهذا المغزل، أي برهان الحركة[٢] فيقال إنه قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«عليكم بدين العجائز فإنّه دين الفطرة[٣]، لأنّ كل مولود يولد على الفطرة»[٤].

فهذا كلّه إشارة إلى أنّ الدليل العقلي هو الموصول إلى الله تعالى وهو المراد بـ(آية محكمة) وأمّا قوله (فريضة عادلة) فهو إشارة إلى علم الفقه حيث إنّه عبارة عن الفرائض الواجبة والمحرّكات، فالفقه هو الفريضة العادلة التي تعبّر عن العدل الإلهي فبها يصل الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة، فالفريضة العادلة هي التقوى وسيكون كلامي عن التقوى العامّة وتقوى الخاصّ وتقوى خاصّ الخاصّ[٥].

---

(١) أي أستدل الرجل على أن لكل حادث محدثا، وهذا الضرب الذي سقط على رأس السائل هو بسبب الفلاح فكيف لا يكون لهذا الكون الحادث من محدث؟.

(٢) البراهين كثيرة والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن هناك برهانا اسمه برهان الحركة ومفاده أن لكل متحرك محركا يحركه، وهكذا مغزل العجوز إن حركته تحرك، وإن تركته سكن واستقر، فكيف بهذا الكون المتحرك المتغير يتحرك بدون محرك هذا محال؟!

(٣) أي أن هذه العجوز أجابت بحسب فطرتها التي فطرها الله عليها وبدون التشبث بالدراسة والتعلم فإن الله تعالى فطر الناس على معرفته كما ورد في الحديث.

(٤) ورد حديث مستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يأتي أبواه فيهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

(٥) أي أنّ التقوى تقيم بحسب صاحبها فهناك تقوى العوام من الناس الذين يعملون الواجبات ويتركون المحرمات وهناك رتبة أعلى وهي تقوى الخاص أي أن هناك أناس لهم تقوى وأوسع وأدق من الطبقة السابقة، وهناك طبقة أعلى منها، وندع ذلك للسيد حفظه الله تعالى في بيان المراد منها.

وأمّا السنّة القائمة فهي إشارة إلى علم الأخلاق الذي هو ملكة راسخة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وما خلاهنّ فضل».

فمراده إمّا زيادة أو فضيلة وعلى كلا الأمرين يكون العلم البشري ضرورياً حسب حاجة الأمّة إليه ولعلّه يصير واجباً عينياً بعد أن كان واجباً كفائياً، وهذا العلم الإلهي ينفع في القبر أيضاً، لأنّ السؤال الثاني الذي يوجّه إلى صاحب القبر عن الصلاة والصيام وفروع الدين بعد السؤال عن أصول الدين، فعلى هذا لابدّ لنا أن نتعلّم من زينب ونزداد منها علماً، فإذا لم نزدَدْ علماً أو نتعلّم منها ونحن بحضرتها المقدّسة، فهذا القصور فينا لا فيها، لأنّ القصور في القابل لا في الفاعل، لأنّ الفاعلية الحوراء تامّة[1]، كالشمس تضيء لذي عينين، ولا ينتفع منها الأرمد، وكلّما دخل الإنسان إلى حضرة زينب يزداد علماً وينفتح له باب من ذلك العلم، وإنّ هذا العلم لا ينضب لأنّه علم الله تعالى بل هو الله تعالى[2]، والله تعالى لا نهاية له، لأنّه الأوّل والآخر والباطن والظاهر[3]، فيكفيك أن تجلس أمام وجودها وشعاعها وتفكّر في مسألة، فإنّه سينفتح

---

(١) الفاعلية والقابلية: هذان مصطلحان فلسفيان فيراد من الفاعلية أن الفاعل له القدرة التامة على الفعل ولا يمنعه شيء، والقابلية يراد منها أن الطرف المتلقي للفيض من قبل الفاعل له القدرة والمؤهلات لتلقي هذا الفيض وهناك شرح فلسفي في محله، وإنما اكتفينا بما يناسب الجميع.

(٢) مراد السيد الأستاذ من (أن العلم هو الله تعالى) أي أن العلم صفة ذاتية من صفات الله تعالى، وبما أن صفاته عين ذاته، فصار تعالى علما كله في عين هو قدرة وفي عين هو حي، وهكذا فيصح أن تقول العلم هو الله تعالى بعيدا عن الاتحاد، وإنما المراد العينية.

(٣) إن الله تعالى هو الأول أي لم يسبق بشيء أو بالعدم أو بالزمن، والآخر أي لم يلحق بالغير أو العدم، والظاهر أي المعروف والمتجلي لخلقه في آثاره وعلاماته، والباطن أي لا يحاط بكنهه وبحقيقته، وهناك كلام أوسع من هذا.

لك علم جديد لم تعلمه من قبل، وهذا هو الإلهام الإلهي، لأنّ العلم ليس بكثرة التعلّم إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء[١]، وهذا ما أكّده روح الله عيسى بن مريم عليه السلام بقوله: (ليس العلم في السماء حتّى ينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج لكم، إنّما العلم في قلوبكم فتخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم).

وهذا مرادف لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أخلص لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه»[٢].

ولكن هذا لا يعني ترك الدراسة التي هي مقدّمة للعلم الإلهي، فيا أيّها الذين آمنوا لا يستحوذ الشيطان على قلوبكم كما استحوذ على غيركم لأنّ حكومة الرحمن هي الحاكمة وليس حكومة الشيطان[٣]، وهذا يتمّ بمعرفة جمال السيّدة زينب لا في أنّها بنت علي وفاطمة وأخت الحسين وأمّ المصائب، فهذه حدودها ويعرفها القصيّ والداني والمسلم والكافر، وإنّها من المعرفة الجلالية، بل لابدّ من المعرفة الجمالية، فهذا القول يوضح لنا ما هي ثمرة المعرفة الجمالية فيقول: (من طلبني عرفني، ومن عرفني عشقني، ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديته).

---

(١) ورد في الحديث الشريف في بحار الأنوار: ١، ٢٢٥: «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء» أي فكرامة لزينب صلوات الله وسلامه عليها يلهمك الله تعالى حل هذه المسألة التي فكرت بها، ولهذا النور مراتب حسب مراتب الإيمان، وهناك كلام أعمق في كيفية هذه النورانية وما هي الشروط التي يجب أن يتحلى بها القابل الذي فاض عليه هذا النور، طوينا عنه كشحا لأنه لا يناسب المقام الذي نحن فيه وهو معروف عند أهله.

(٢) أصول الكافي، الجزء الثاني في باب الأخلاق.

(٣) ليس للشيطان حكومة على أحد بل ليس له إلا الوسوسة والتزيين والتسويل فهو لا يسلب الاختيار عن أحد، ولكن تضعف النفوس فتقع في شراكه ليس إلا، والله تعالى برحمته العامة التي عم بها جميع مخلوقاته حتى الشيطان فتكون حكومته هي الحاكمة وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يجعل الشيطان طريقا إلى الجنة وذلك بمخالفته له.

فنور زينب نور معنوي كالنور الحسّي، ظاهر بنفسه ومظهر لغيره، والنور الأوّل هو الله تعالى، حيث إنّه نور السماوات والأرض، فروضة النور يعني روضة إلهية، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نور حيث إنّه سراج منير، فتكون روضتها عليها السلام روضة نبويّة وقرآنية وولوية، لأنّ القرآن نور والولي نور (فكلامكم نور وأمركم رشد)، فتكون روضتها روضة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فالدخول في هذه الروضة يورث العلم والتلذّذ المعنوي والروحي، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا».

وطالب الدنيا ينكب عليها مع أنّها جيفة:

«لأنّ الدنيا جيفة، وطلاّبها كلاب»[1].

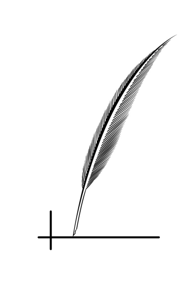
فلو ناداها صاحبها: هل امتلأتِ؟ تقول: هل من مزيد؟ أي آتني من حلال أو حرام، فطالب الدنيا نار، وطالب العلم نور، وذاك جهل، وهذا علم، وذاك شيطان وهذا رحمن. فهيّا بنا لنزور الحوراء زينب الكبرى بقلوبنا وعقولنا وأجسادنا، فندخل روضتها المقدّسة وحرمها المبارك، لنستلهم من روحها الزكيّة ونفسها القدسيّة، العلم الإلهي والنور الربّاني.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) هذا الحديث ورد في أصول الكافي، الجزء الثاني في باب الأخلاق، ومراده أن الدنيا لا تكون جيفة بذواتها لأن هذه القوات هي آثار الله تعالى وآثار الله تعالى محبوبة له، فلا يقع الذم عليها بل المراد هو أن التعلق بهذه الآثار الذي يمنع الإنسان من التكامل هو المذموم فيكون من حيث النفع لا نفع فيها لأنها جيفة أي ميتة نتنة الرائحة فلا يقبل على هذا إلا الكلاب، فعلى الإنسان أن لا ينزل إلى هذه المرتبة الحيوانية ويتكالب على الدنيا.



المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة:

نحن الآن بجوار السيّدة زينب الكبرى عليها السلام، وكلّنا حبٌّ لمقامها الشامخ، فيحلو لنا الذكر، لأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ ذكره، ومن لوازم الحبّ أن يذكر المحبوب[1]، وكلّما ازداد الإنسان حبّاً ازداد ذكراً لمحبوبه، وهذا أمر فطري وجداني، والوجدانيات من البديهيات[2]، فإذن هذا أمر بديهي، فإتماماً لما بدأنا نقول:

إنّ تقسيم المعرفة إلى جلالية وجمالية وكمالية، فإنّما يكون هذا التقسيم أوّلا في الصفات الإلهية كما بيّنّا سابقا، وهذا التقسيم موجود أيضاً في جميع الشرائع السماوية، فمثلاً لو أردنا أن نعرف الأحكام الشرعيّة فنعرفها تارةً بجلالها كما لو أردنا

---

(١) إن حب المؤمن لربه أو لمن يحبه الله تعالى يقوده إلى الذكر، ولذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بحار الأنوار: ٧٧، ٨٤. قوله: «إن أحبكم إلى الله، أكثركم ذكرا له...» وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله، إنا إذا ذكرنا ذكر الله، وإذا ذكر عدونا ذكر الشيطان». في الوسائل: الجزء ٢٣، الحديث ٣. ففي ذكرهم يتحقق ذكر بارئهم كما ورد عند الفريقين أن ذكر علي عليه السلام عبادة.

(٢) تنقسم القضية اليقينية إلى بديهية ونظرية كسبية تنتهي لا محالة إلى البديهيات، فالبديهيات إذن هي أصول اليقينيات، وهي على ستة أنواع: أوليات، مشاهدات، تجريبيات، متواترات، حدسيات، فطريات، وهي المراد في متن الكتاب، وتفصيل ذلك في علم المنطق.

أن نعرف الصلاة، فمنهم من سيعرّفها لنا بحدودها كصلاة الصبح مثلاً ركعتان والظهر أربع، وهناك من يعرّف لنا الصلاة بجمالها أي بأسرارها[١]، وهناك من يقف على حقيقة الصلاة وهذه معرفة كمالية للصلاة[٢]، وهناك تقسيم مشهور لأعلامنا ولا بأس بذكره باعتبار المحفل محفلاً علمائياً أيضاً لحضور أهل العلم حفظهم الله تعالى.

فنقول: إنّ المعرفة تارةً تكون حسّية أي من خلال الحواسّ الظاهرية، وأخرى تكون علميّة، وثالثة تكون فلسفية، حيث إنّ هناك فرقاً بين المعرفة العلمية والفلسفية، ورابعة تكون شهودية، وخامسة تكون دينية، وسنوضح هذه المعارف كالآتي:

أوّلاً ـ المعرفة الحسّية: هي المعرفة التي تكون من خلال الحواسّ الظاهرية الخمس، وهي الباصرة والسامعة والذائقة واللامسة والشامّة كما أنّ للإنسان قوى باطنة خمس، ترسم على شكل زاوية منفرجة في صفحة الذهن، والتي هي عبارة عن الحسّ المشترك الذي يسمّى بالقوة البنطاسية حيث إنّ مدركات الإنسان تنطبع في الحسّ المشترك من خلال الحواسّ الخمس، ثمّ تنتقل بعد ذلك إلى خزانة الخيال ثمّ إلى القوّة الحافظة

---

(١) للصلاة أسرار ذكرت في الكتب المعدة لذلك، فهناك سر لكل فعل ولكل قول من أقوالها، ففي قولك (الله أكبر) في تكبيرة الإحرام مثلا هو أن تستصغر ما بين العلى والثرى وتجعل كل شيء دون كبريائه فهذا ما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام، وفي القيام يعني المثول بين يدي الله تعالى لأداء حق العبودية واستجلاب خيرات الربوبية، فمعرفة أركان الصلاة وأجزائها بمعرفة كهذه تسمى هذه المعرفة معرفة جمالية.

(٢) عند الوقوف على حقيقة الصلاة فإنك ستراها معراجا للمؤمن يعرج بها إلى ربه، وتراها أيضا أنها صلة بين العبد وربه فتكون هذه الصلاة في نظرك كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الصلاة تمكن، وتواضع، وتيؤس، وتندم، وتقنع، فتمد يديك وتقول: اللهم فمن لم يفعل فهي خداج»، بحيث لو كبرت الله تعالى وكان عملك وقولك مخالفا ومضادا للتكبير فسيسمى هذا التكبير تحقيرا وليس تكبيرا، فمعرفة كهذه هي المعرفة الكمالية، ومن رام الزيادة فليرجع إلى كتب أسرار الصلاة، كالآداب المعنوية للصلاة للسيد الإمام رحمه الله وأسرار الصلاة للشهيد الثاني وأسرار الصلاة لميرزا ملك التبريزي.

وهناك قوّة ثالثة تكون بين هاتين القوّتين هي القوة المتصرّفة كما أنّ هناك أيضا قوّة أخرى تسمّى بالقوة العاقلة، فهذه هي القوى الباطنية الخمس وأمّا المعرفة بالحواسّ الظاهرية الخمس تسمّى بالمعرفة الحسّية.

ثانياً ـ المعرفة العلمية: هي المعرفة التي يكون العلم أداة فيها[١]، وتكون المعرفة جزئية لا كلّية بالنسبة إلى المعرفة الفلسفية.

ثالثاً ـ المعرفة الفلسفية، هي المعرفة التي تهتمّ بالكلّيات ويكون الباحث فيها مهتمّاً بما هو كلّي كما لو كان بحثه في الكون فيبحث في العلّة والمعلول والحادث والقديم وما شابه[٢].

رابعاً ـ المعرفة الشهودية: هي عبارة عن الكشف والشهود وهذه المعرفة تختصّ بالعرفاء[٣].

---

(١) عندما يجعل المحاضر السيد الأستاذ المعرفة العلمية في قبال غيرها من المعارف ويقول: إذا كان العلم أداتها فمراده بالعلم بالمعنى الأخص الذي يبحث حول الجزئيات في قبال الفلسفة التي تبحث حول الكليات، وأما العلم بالمعنى الأعم فإنه شامل للفلسفة وغيرها.

(٢) المعرفة الفلسفية: بما أنها تهتم بالكليات فيكون بحثها في الموجود بما هو موجود، وهذا البحث يهتم بمعرفة الموجود أهو علة أم معلول، قديم أم حادث، فلذلك يكون الفيلسوف مهتما بالمعرفة الكلية للأشياء أي أنه ينظر إلى الكليات لا إلى الجزئيات، والكلام في الفلسفة طويل وكثير فلتأخذ من مظانها.

(٣) المعرفة العرفانية: يعني هي المعرفة التي بها تكشف الحقائق الكونية وما وراء الطبيعة من خلال صفاء القلب بعد تهذيبه وتزكيته فتنعكس حقائق الكون عليه، فيصل العارف إلى مقام الكشف والشهود، ونقول عندما تصفو النفس وتنقطع إلى التفكير في الأمور العلوية وتتخلى عن ارتباطها واشتغالها بالأمور الدينية إلا ما تحتاجه من الضرورة ونصب همها واهتمامها في التعرف على ما وراء الطبيعة فإنها ستحصل لها حالات نفسية وتتوارد عليها خواطر قلبية تستشعر من خلالها الارتفاع عن عالمها المادي الضيق وتتصل بعالم المثال أو عالم الأرواح والعقول ومن خلال هذا الاتصال يبدأ الإنسان بدرك الحقائق شيئا فشيئا وحسب ما تتوفر له من عوامل موضوعية وذاتية لها مدخلية في تحصيل هذه المعرفة، وهذا ما يعبر عنه بالكشف والشهود، أو الإشراق أو التجلي على اختلاف التسميات.

خامساً ـ المعرفة الدينية: هي المعرفة التي تبتني على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، أي أنّها تبتني على كتاب الله تعالى وسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والوليّ الوصيّ المتمثّلة بقول المعصوم وفعله وتقريره[١][٢].

وقفة على المعرفة الفلسفية والعرفانية

نقف على هاتين المعرفتين لكي نبيّن الحقيقة لمن يعدّ بعض المظاهر الخاطئة مظاهر عرفانية، وهو يخطئ بتطبيق الكلّي على الجزئي أي على المصداق، فنقول: إنّ الفلاسفة يبحثون عن الوجود أو الموجود بما هو موجود حسب الطاقة البشرية وذلك من خلال الاستدلال العقلي، وأمّا العرفاء فيبحثون عن الوجود من خلال صيقلة القلب فيقول العرفاء: بقلوبنا نصل إلى الله تعالى، ويقول الفلاسفة: نصل إلى الله تعالى بعقولنا، وهذا لا يتمّ إلاّ بشرطه وشروطه، فلا كلّ من يدّعي العرفان هو صادق في مدّعاه بل هو لا يريد إلا التصوّف ومن التصوّف ما فيه الانحراف الفكري أو السلوكي، فتدبّر.

---

(١) فعل المعصوم أي الفعل الذي فعله المعصوم إمام المسلمين فهو حجة لنا بالتمسك به كسنة نفهم منه درجة الإباحة وكونه مشرعا، وأما قوله فهو عندما يقول لنا افعل كذا ولا تفعل كذا، وأما تقريره فمعناه أنه يرى الفعل ولا يردع فاعله عنه بشرط أن يكون عدم الردع والسكوت خالياً من التقية فهذا إقرار منه عليه السلام للفاعل بصحة فعله.

(٢) شرط العرفان هو صفاء القلب وتهذيبه وصقله لكي يكون قابلا لتلقي الحقائق وتنعكس فيه بواطن الأمور كالمرآة كلما كانت صافية كلما كان الانعكاس فيها واضحا وكلما كانت ملوثة كلما كان الانعكاس ضئيلا وقد يكون منعدما، ولا تعني بتصفية القلب عدم التعلق بالأمور الدنيوية فحسب بل لابد من العمل العبادي المتمثل بأداء الواجبات وترك المحرمات والتضرع إلى علام الغيوب والاتصال به دوما ويقال عن بعض الأعلام إن بعض المؤمنين سألوا العارف المتأله الشيخ جواد آملي عن العرفان العملي فقال: (مفاتيح الجنان والرسالة العملية)، أي تطبيق ما في الرسالة العملية وما في مفاتيح الجنان، فضلا عن محاربة الهوى ومجاهدة النفس وتزكية القلب وتخليته وتحليته بما يوصل إلى المكان.

في حين أنّ العرفان الذي نحن بصدده هو الذي ينهل من نبع أهل البيت عليهم السلام[1]، ذلك النبع الصافي، فبالصقل للقلب ينكشف للعارف الوجود وتنكشف الحقائق ويكون عند ذلك دليلهم هو الكشف والشهود والإشراقات الإلهية، وهذه القصّة التأريخية توضح ما قلناه: (ففي غابر الزمان يُنقل أنّ الإسكندر ذا القرنين جمع الفلاسفة والعرفاء وبنى لكلّ واحدٍ جداراً ليرسموا عليه ما عندهم من البحوث والعلوم وجعل بينهما ستاراً، ثمّ قال: سأرجع إليكم بعد سنة لأعرف ما أنتم عليه، وفعلاً لّما مضى الوقت الذي قرّره جاء الاسكندر إليهم ودخل على الفلاسفة فوجدهم رسموا على الجدار من كلّ شيء فرداً، فمن الطيور طيراً، ومن الأشجار شجرة، وهكذا، فقالوا: هذا هو الموجود ونحن نبحث في هذا، ولّما رفع الستار الذي بينهم وبين العرفاء وجد العرفاء قد صقلوا الجدار حتّى جعلوه كالمرآة فانعكست فيه نفس صورة الفلاسفة التي رسموا فضلاً عن صورة الاسكندر، فقالوا للاسكندر: نحن نبحث عن ما يبحث عنه الفلاسفة بما في ذلك أنت وحاشيتك من خلال صقل القلب».

وبهذه المعارف التي بيّنّاها لكم تُعرف الأشياء، فلابدّ للإنسان الذي يريد الترقّي في سلّم الكمال من المعرفة، فإنّ الفضل بالمعرفة (أفضلكم أفضلكم معرفةً) وهي التي

---

(١) منهج أهل البيت عليهم السلام يدعو إلى التقوى فيوافق مذاقهم القرآن الكريم الذي هو العدل الأكبر فورد في القرآن الكريم ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ (الأنفال: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾(البقرة: ٢٨٢)، وهذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام لأنه لن يفترق عن القرآن كما في حديث الثقلين المعروف، وعندما سئل الإمام عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الزمر: ٢٢)، قال عليه السلام: «نور يقذفه الله في قلبه فيشرح صدره»، قيل: هل لذلك علامة؟ قال عليه السلام: «علامته التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»، وهكذا يلتقي الإمام مع القرآن في... منهج واحد لأنه لا انفصال بينهما، بل هما واحد فلن يفترقا في كل شيء منذ البداية وحتى النهاية.

تقود إلى العبادة الحقّة الخالصة، ونوم العالم أفضل من قيام الجاهل[1]، ويبيّن لنا ميزان الأعمال والقرآن الناطق أمير المؤمنين عليه السلام مدى الترابط الوثيق بين العلم والعبادة فيقول:

«قسم ظهري اثنان: جاهل متنسّك، وعالم متهتّك»[2].

فالجاهل يغرّ الناس بعبادته والعالم يغرّ الناس بعلمه، فقيمة الإنسان بالمعرفة وهذا عند الله تعالى والراسخين في العلم لا عند الناس، لأنّ الناس أعداء ما جهلوا[3]، فكم نرى من عالم مهجور كما نرى قرآناً مهجوراً ومسجداً مهجوراً، وهؤلاء ممّن يشتكون إلى الله تعالى يوم القيامة[4]، فالناس يجهلون قدر العالم الربّاني ويهجرون هذاا لعالم حتّى كأنّه غريب بينهم، مع أنّه يدعى في السماء عظيماً كما في الحديث الشريف:

«من علم لله وعلّم لله دُعي في ملكوت السماوات عظيما»[5].

فهذه العظمة التي نالها هذا العالم، إنّما هي لإخلاصه، لأنّه تعلّم وعمل لله

---

(١) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما رأى رجلا من الخوارج قائما يصلي قال: «نوم على يقين خير من قيام في شك»، وهذا معناه أن الذي على يقين هو العالم والذي على شك هو الجاهل، فصار نوم العالم أفضل من قيام الجاهل، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي نوم العالم أفضل من عبادة العابد»، أي العابد الجاهل. قصار الجمل، المشكيني: ٢، ٦٣.

(٢) نهج البلاغة: قصار الجمل.

(٣) ورد في نهج البلاغة وقصار الجمل: «أنه الناس أعداء ما جهلوا»، ومراده عليه السلام بحسب ما نفهم من قوله أن الإنسان لا يعرف قيمة ما يجهل وثمنه فيقع منه تجاهل وإهمال لهذا المجهول وقد يقع منه محاربة له وذلك بسبب جهله بمقامه أو بقيمته فيكون عدوا له.

(٤) ورد في الحديث الشريف: عن الصادق عليه السلام قال: «ثلاثة يشكون إلى الله: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه»، كتاب قصار الجمل، المشكيني: ٢، ٦٣. ثم جاء في بحار الأنوار: ٧٧، ١٤٠. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ارحموا عزيزا ذل، وغنيا افتقر، وعالما ضاع في زمان جهال».

(٥) رسالات إسلامية (موسوعة السيد الأستاذ) الملجد الثالث.

تعالى لا للرياء والجدل والاستطالة على الناس، فهو عظيم عند ربّه وإن كان مستضعفاً عند أهل الأرض، فبناءً على هذا لابدّ لنا من إنصاف أهل العلم والعمل الخالص، ولابدّ من تعظيمهم وعلى رأسهم سادتهم وأئمّتهم معدن العلم ومهبط الوحي عليهم السلام، ومن يسير على نهجهم سيّما أولادهم الذين عكسوا ذواتهم كزينب الكبرى، فلنعرف زينب بصفاتها الجمالية وذلك من خلال ما ورد في حقّها وشأنها.

سؤال غير فطن

هناك من يسأل هذا السؤال النابع من جهل السائل والذي ينمّ عن سطحيّة عقله ووهن رأيه، فيقول: (لماذا هذا الإصرار على معرفة أهل البيت سيّما في عصرنا الحاضر عصر العلم والتطوّر التكنولوجي؟! حيث إنّ العالم أصبح قرية واحدة في عصر الكومبيوتر وأنتم ما زلتم تبحثون عن أمير المؤمنين هو النقطة التي تحت الباء، أين نحن وأين العالم ولِمَ هذا الصراع على هذه الأمور التي لسنا بحاجة إليها).

الجواب: يأتي الجواب من الإمام زين العابدين عليه السلام، ولكن قبل أن نسمع جواب الإمام، أريد أن أقول إنّ من العدل الإلهي إذا تقدّم الإنسان في العلوم البشرية كما تقولون، فلابدّ أن يتقدّم ويتعمّق في العلوم الإلهية[1]، كما أنّ الإنسان الحاضر

---

(١) التعمق في العلوم الإلهية أهم من التعمق في العلوم البشرية، لأن الإنسان ذو بعدين، البعد المادي والبعد الروحي، فالعلوم البشرية هي التي تهتم بالبعد المادي للإنسان وهو البدن وأما العلوم الإلهية تهتم بالبعد الروحي والإنسان كما هو واضح بروحه وعقله لا ببدنه، فلو كانت المقاييس على الأبدان لسبقنا كثير من الحيوانات في ذلك كالفيل والجمل وكل من هو أكبر منا جسما، ولكن المقاييس على العقول والأرواح، فلذلك صار كل شيء مسخرا لنا ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (لقمان: ٢٠)، وعلى هذا لا ينبغي للإنسان أن يدع الرتبة الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وينزل إلى رتبة البهيمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، ثمّ قد يتسافل فينزل إلى أخسّ من الأنعام لقوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤)، والفرق الآخر ←

يبحث في المعاش، فلنا أن نبحث في المعاد، وكما أنّ العالم الغربي يبحث في العلوم البشرية ويتعمّق، لابدّ لنا أن نبحث في العلوم الإلهية السماوية، وهذا من صميم حضارتنا الإسلامية، فنقول إنّ العلوم البشرية يتعلّمها المسلم والكافر ولكنّ العلوم الإلهية لا يتعلّمها ولا يتقدّم فيها إلاّ العالم الإلهي الربّاني، لأنّه علم شريف يحتاج إلى محلّ طاهر، فعلى هذا لو كان القلب طاهراً، لَعَلم وفَهم ما في القرآن الكريم وبواطنه وما فيه من المعارف، ولكن عندما يكون القلب نجساً أو شهوانياً أو حيوانياً أنّى له ذلك، فنراه يرى الحقّ باطلاً، والعلم بالعدل الثاني للقرآن وهم العترة الطاهرة ضياعاً، ومعرفتهم ترفاً فكرياً، وهذا عين الظلم للقرآن ولعدله الثاني وللعلماء بهما.

والآن نأتي إلى جواب الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أصبح بعد كلامنا هذا شاهد صدقٍ على قولنا، فإنّه يقول عليه السلام :

«إنّ الله علم أنّه سيكون في آخر الزمان أقوام يتعمّقون فأنزل سورة التوحيد وآيات من سورة الحديد»[1].

حيث المعرفة الحقّة وحيث المعرفة الإلهية ولكن لا يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم، ولا يقف على هذه الحقائق إلاّ من كان طاهراً معنوياً لأنّ القرآن لا يمسّه إلاّ المطهّرون، وأمّا غير المطهّر لو أراد أن يمسّ ـ أي يعلم القرآن في بواطنه وأسراره ـ فإنّه لا يستطيع، بل لا ينال إلاّ اللعن من القرآن وهذا ما أكّده الحديث الشريف :

«كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه».

بين العلوم البشرية والإلهية الذي هو السبب في دفعنا إلى التعمق بالعلوم الإلهية هو موضوع العلوم، فتلك لا تتجاوز المادة وهذه موضوعها خالق المادة وهو الله تعالى، فصارت أشرف وأعلى تبعا لموضوعها؛ لأن العلوم تشرّف بموضوعاتها، وأما الارتباط بين المعرفة والعمل فسيأتي في المحاضرات القادمة.

(١) من كتاب (علي بن أبي طالب نقطة باء البسملة) للسيد الأستاذ.

فالمعرفة التي يريدها لنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وآهل بيته عليهم السلام هي التي تقودنا إلى كمالنا الحقيقي، وإلى سعادتنا الدنيوية والأخروية، فلابدّ من التعمّق لكي نقف على الحقائق، ولابدّ من التعمّق لكي نكون فقهاء لأنّ الحديث الشريف يقول:

«لا يكون الفقيه فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا، فإنّ لكلّ منها سبعين وجهاً، ولكلّ وجه لنا مخرج».

فبمعرفة هذه الوجوه تكون الفقاهة، وأذكر لكم شاهداً على ذلك هو أستاذنا الشيخ حسن زادة آملي[١] أنّه ذكر واحداً وتسعين معنى لقوله عليه السلام:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

كما ذكرت للحديث النبوي الشريف:

«المؤمن مرآة المؤمن»[٢].

تسعة وتسعين معنىً، فبهذا يتّضح أنّ حديثاً ندريه خير من ألف حديث نرويه[٣]، فنحن شيعة أهل البيت عليهم السلام لابدّ لنا من التعمّق بمعرفة أهل البيت عليهم السلام وندع الدنيا لأهلها، فنقول إذا جاؤوا لنا بجديد في علومهم البشرية علينا أن نأتي بجديد وعميق في العلم الإلهي والنبوي والولوي، فإنّ زيادة المعرفة والعلم تعطي الإنسان الأدب والخضوع والخشوع والمودّة والإطاعة، ومن ثمّ ينال الإنسان القرب من الله ويفوز بسعادة الدارين.

---

(١) هو من كبار العلماء ومن أساتذة الحوزة العلمية في قم المقدسة ومن أهل السير والسلوك وتتلمذ على يديه في هذا الفن الكثير من الفضلاء.

(٢) هو لسماحة سيدنا الأستاذ السيد الحجة عادل العلوي دامت بركاته.

(٣) هذا إشارة إلى حديث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بالدرايات، لا بالروايات». قصار الجمل، المشكيني: ١، ١٣٨. وعنه عليه السلام في حديث آخر: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه، عقل رعاية لا عقل رواية...» نفس المصدر.

إذن لابدّ أن نتكلم عن زينب الكبرى ولابدّ أن نتعمّق في شخصية زينب وأن نعرفها معرفة جمالية، لأنّ الأئمة عليهم السلام هم الذين حثّونا على ذلك وقالوا:

«نزّلونا عن الربوبية، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وكلّ ما تقولونه فينا إنّما هو معشار عشر»[1].

نعم إنّنا لا نبلغ كنههم كيف نصفهم ونحن في وصف الجنّة التي هي مكان لهم ولشيعتهم في حيرة؟ هذا ما أكّده الحديث الشريف:

«إنّ في الجنّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[2].

فكيف نعرف سادات الجنّة[3] لا نعرفهم إلاّ من خلال أقوالهم، فهو عليه السلام الذي قال عن نفسه:

«أنا النقطة التي تحت الباء».

فبالنقطة تبدأ الحروف والأعداد، والخطّ المستقيم الذي هو أقصر خطّ ما بين نقطتين يبدأ بنقطة وينتهي بها، وهكذا علي عليه السلام هو البداية والنهاية[4]، فكلّ ما تقول فيه أو في ابنته الكبرى هو معشار العشر من فضله وفضلها، فهي صاحبة الفضل علينا كما أنّ الأرض تثبت بوجود الحجّة وبيمنه يرزق الورى، فلذلك نقول: (اللهم عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، أللهم عرّفني رسولك فإنّك إن

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦، ٦، كما للأستاذ رسالة بعنوان (جلوة من ولاية أهل البيت) يذكر فيها وجوه هذا الحديث الشريف في موسوعته (رسالات إسلامية ـ الجزء الخامس).

(٢) رسالات إسلامية؛ للسيد الأستاذ، الجزء الخامس، جلوة من ولاية أهل البيت: ١٣.

(٣) هذه العبارة مراده فيها الحديث الشريف في فضل الحسنين عليهما السلام حينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقهما: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما»، سنن ابن ماجة في باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء في سنن الترمذي: ٢، ٣٠٦. وجاء في مسند أحمد بن حنبل وغيرها... .

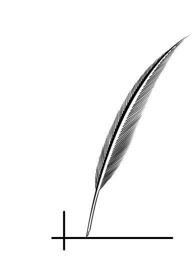
(٤) كما للأستاذ كتاب مفصل عن هذا الحديث «علي نقطة باء البسملة» وهو مطبوع.

لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، أللهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني، اللهمّ لا تمتني ميتةً جاهليةً)[١]، فلنلتجئ إلى الله تعالى ليعرّفنا نفسه ورسوله وحجّته في زمن كثرت فيه الشبهات والإشكالات والضلالات وعدم الالتفاف حول الحقائق، اللهمّ لا تمتني ميتة الجاهلية[٢]، وهذه زينب الكبرى لنقف على أعتابها ونستلهم من روحها العلم والمعرفة فهي التي تعرّفنا الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

(١) هذا الدعاء يسمى بدعاء زمن الغيبة الوارد في كتاب مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله.

(٢) هذا إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية».



المحاضرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة:

ما زلنا وإيّاكم في رحاب عصمة الحوراء زينب عليها السلام ما زلنا في روضة العلم والنور، وذكرنا في ما سبق شيئاً من المعرفة وأهمّيتها في حياة الإنسان، وقلنا بأنّها كلّي تشكيكي أي أنّ لها مراتب طويلة وعرضية، وتختلف من حيث الشدّة والضعف.

وهذه المراتب التي تمّ ذكرها هي أمّهات المراتب إذا صحّ التعبير، فأوّلها المرتبة الجلالية، ثمّ المعرفة الجمالية، وآخرها المعرفة الكمالية.

فعندما نريد تعريف أيّ شيء لابدّ أن نعرفه بالمعرفة الجلالية أي بذكر صفاته السلبية وذكر حدوده، وإذا أردنا أن نعرفه بالمعرفة الجمالية فنعرفه بذكر صفاته الجمالية، وإذا أردنا أن نقف على كنهه وذاته فهذا يتمّ بالمعرفة الكمالية.

وفي دعاء سحر شهر رمضان المبارك إشارة إلى هذه المعارف الثلاث في قوله عليه السلام:

«اللهم إنّي أسألك من جلالك بأجلّه وكلّ جلالك جليل، اللهمّ إني أسألك بجلالك كلّه، أللهمّ إنّي أسألك من جمالك بأجمله وكلّ جمالك جميل، أللهمّ إني أسألك بجمالك كلّه، اللهم إني أسألك من كمالك بأكمله وكل كمالك كامل، اللهم إني أسألك بكمالك كله»[1].

---

(١) مفاتيح الجنان: أعمال شهر رمضان، دعاء السحر، المعروف بدعاء البهاء.

وذكرنا أيضاً أنّه كما تقدّمت البشرية في العلوم الحديثة والعصرية، فمن العدل الإلهي أن يتقدّم العلماء الإلهيون في العلوم الإلهية أيضاً، فإذا لمسنا تأخّراً في العلوم الإلهية فليس هذا التأخّر من جهة الفاعل وإنّما هو من جهة القابل، أي أنّ القصور في المتلقّي وإلاّ فالعلماء الإلهيون على درجة عالية من الفاعلية للفيض[١] على من يريد معرفة العلوم الإلهية، وذكرنا أيضاً أنّ للإنسان علوماً معاشية، فلابدّ له من علوم معادية أيضاً، وقلنا إنّ العلوم المعادية تنحصر ـ بحسب ما جاء في الحديث الشريف ـ في علوم ثلاثة[٢]، تبعاً لحاجة الإنسان إليها، فالعلم الأوّل الذي هو علم العقائد والذي يسمّى عند أهل الفنّ بعلم الكلام[٣]، هو الذي يعتني بكمال العقل وتربيته والترقّي فيه إلى الدرجات العلى، والعلم الثاني هو علم الأخلاق وهذا يهتمّ ببناء الروح الإنسانية وتهذيبها وصيقلة القلب وتزكيته، والعلم الثالث هو علم الفقه فوظيفته تربية البعد المادّي والروحي معاً للإنسان أي يهتمّ بتربية البدن وفيه نصيب للروح والعقل أيضاً.

وعلم العقائد كما تعلمون هو علم أصول الدين أي يعتني بمعرفة المبدأ والمعاد[٤]

---

(١) إن العلماء لهم القدرة على العطاء والإفاضة على من يريد تحصيل هذه العلوم بشرط استعداده لتلقيها.

(٢) إشارة إلى الحديث الذي تقدم «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنة قائمة، وما خلاهن فضل...».

(٣) عرف علم العقائد بعلم الكلام ولدواع متعددة منها أن العلماء عندما بحثوا في أن كلام الله تعالى هل هو مخلوق أو قديم وهل إن كلامه كلام نفسي أو إيجاد الكلام في الأشياء وصار في هذه الأبحاث خلاف كبير أدى إلى محاربة بعضهم البعض فسمي البحث في العقائد بعلم الكلام للغلبة في ذلك، وهناك وجوه ستة أخرى ذكرها سيدنا الأستاذ في (دروس اليقين في معرفة أصول الدين) المجلد الأول من موسوعته الكبرى (رسالات إسلامية) فراجع.

(٤) المبدأ والمعاد هما مصطلحان في علم الكلام ويراد بالأول إثبات وتوحيد الله تعالى وتوحيده وما يتعلق ببحث التوحيد ويراد بالثاني ما يتعلق بيوم الحساب ويوم المعاد الذي ترجع فيه الناس للحساب.

وما بينهما من النبوّة والإمامة ومن صفات الله تعالى كالعدل الإلهي، أي يكون البحث فيه عن الله تعالى وعن فعله وعن إرسال الرسل للناس وإنزال الكتب ونصب الإمام من قبل الله تعالى، وعلم الأخلاق: يبحث عن الأخلاق الحميدة والحثّ عليها وذكر آثارها الدنيوية والأخروية، وذكر الأخلاق الذميمة والنهي عنها والترفّع عن التلبّس بها وذكر آثارها أيضاً، وعلم الفقه: يبحث عن فروع الدين كالصلاة والصوم والحجّ وغيرها وبيان فلسفة هذه التكاليف ومعرفة آثارها كالاقتصادية المتمثّلة بدفع الزكاة وأداء الخمس وكالاجتماعية المتولّدة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، وكذلك يبحث عن المعاملات بالمعنى الأعمّ والأخصّ.

فهذه العلوم التي فصّلنا الحديث فيها هي العلوم التي تنفع الإنسان فيما لو علمها، وتضرّه فيما لو جهلها، ربما يسأل السائل لماذا هذا التعمّق في هذه العلوم؟ فنجيب عن هذا التساؤل، بأنّنا قد ذكرنا قول الإمام السجّاد عليه السلام وذكرنا أنّ من العدل الإلهي أن تتساوى على أقلّ التقادير كفتا العلم البشري والعلم الإلهي، فإذا استطاع الإنسان من خلال علومه البشرية تسخير الفضاء والصعود إلى الكواكب الأخرى، فلابدّ له أيضاً من تسخير الروح الإنسانية والصعود بها إلى أعلى درجات الكمال والرفعة، فإذن لابدّ من التعمّق في أصول الدين وفي الأخلاق وفي الفقه، ولابدّ من التعمّق في معرفة القرآن الكريم وكلمات أهل البيت عليهم السلام، فبهذه المعرفة وبهذا العمق يزداد الإنسان عملاً، فإنّه جاء في الحديث الشريف:

«المعرفة تدلّ الإنسان على العمل والعمل على المعرفة»[1].

فعلى هذا القول يتّضح لنا أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين معرفة الإنسان وعمله.

---

(١) عن حسين الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يقبل الله عملا إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل...»، الكافي: ١، ٩٤.

وإذا عرفنا السيّدة زينب عليها السلام بمعرفة جمالية بعدما كنّا نعرفها بمعرفة جلالية، تلك المعرفة التي يعرفها بها الوضيع والشريف والجاهل والعالم، وتجد الجميع عندما يدخل إلى حرمها يعظّمها ويحترمها، ولو كان إنساناً غير متأدّب بالآداب الدينية، فنراه يقبّل الضريح والباب حبّاً وتعظيماً ولسان حاله يقول:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

نراه يعرف عظمة زينب وأهل زينب عليهم السلام، ولكن هذه الزيارة السطحيّة غير كافية في أن تمنع هذا الإنسان من المعصية، لأنّها بُنيت على معرفة جلالية، ولذلك نجد ذلك الرجل المسيحي(١) عندما يكتب عن أمير المؤمنين عليه السلام ويعرف أنّ علياً رجل عظيم شديد العدل ولشدّة عدله قتل في المحراب، لكنّه لا يترك مسيحيّته، ولم يتمسّك بنهج علي عليه السلام مع أنّه يعترف بعظمة علي وسموّ علي وجلال علي عليه السلام، إلاّ أنّه يبقى على مسيحيّته، فمعرفة هذا الرجل هي معرفة جلالية، ثمّ تراه يقول في حقّ نهج البلاغة إنّه كلام دون الخالق وفوق كلام المخلوق، ولكن مع ذلك لا تجده يوالي أمير المؤمنين عليه السلام في عقيدته، ولا يتّبعه في سلوكه وأفعاله، فهذا دليل على أن معرفته لم تصل إلى رتبة المعرفة الجمالية التي لها الأثر الكبير في علاقة العارف بأهل البيت عليهم السلام، وهكذا معرفة البعض لزنيب عليها السلام فإنّه يعرفها أنّها شقيقة الإمام الحسين عليه السلام وهي البطلة التي تحدّت الطغاة في عصرها وعلّمت الأجيال كيف يعيش الإنسان حرّاً، وهي التي كان لها الدور الأكبر والأوسع في نشر ثورة الحسين عليه السلام، لكنّه مع ذلك لا يتورّع عن النظر إلى المرأة الأجنبية وهو في حرم زينب عليها السلام، وهذا ينطبق على كلّ عارف بزينب معرفة جلالية إذا لم يكن هناك ورع ومانع للمعصية، ومن جهة أخرى لو خلّيناه ومعرفته الجلالية فإنّها غير كافية لمنعه عن ارتكاب المعصية.

---

(١) الكاتب العربي المسيحي المعروف (جورج جرداق) في كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية).

إنّ المذياع ومكبّرات الصوت في الصحن والحرم الشريف والتي تكرّر مراراً القول: على الشباب أن لا يكونوا في قسم النساء من الصحن الشريف، لهو دليل على أنّ الداخل إلى الحرم الشريف لا يراه حرماً ولا يراه شريفاً، وإلاّ كيف يجرؤ على المعصية، إنّه لشيء عجيب، مسلم غيور يحتاج إلى منعه عن سوء الأدب في الحرم الشريف، إلى تنبيه، بل إلى وجود رجال شرطة وأمن، من هذا الذي يحتاج إلى ذلك؟ المسلم الغيور لا يحتاج إلى ذلك، والشيعي الحقيقي لا يحتاج إلى ذلك، مع أنّ الكلّ يحترم زينب عليها السلام لكنّ المعرفة متفاوتة، فمنهم يعرفها بمعرفة جلالية فقط، فلذلك لا يتورّع عن المعصية، ولو كان عارفاً بحقّها معرفة جمالية لصدرت منه أعلى درجات التقديس لصاحبة المكان، وتراه يدخل إلى حضرتها خاشعاً متأدّباً بآداب المكان، وتتجلّى فيه الآية الكريمة:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾[1].

فهذا الغضّ البصري فيه دلالة على أنّ الداخل عارف بجمال زينب عليها السلام وعلوّ قدرها، لكن هل يستطيع الإنسان أن يعرف ذات زينب وحقيقتها؟ نقول قد يرتقي الإنسان إلى معرفة زينب عليها السلام إلى أعلى درجات المعرفة الجمالية، ولكنّه ربما لا يمكن له أن يقف على الذات الزينبية إلاّ من كان محيطاً بها كالمعصومين عليهم السلام.

فإذا عرف الإنسان أنّ المعرفة تدلّه على العمل، وأنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين المعرفة والعمل، تجده حينما يغتنم كلّ الفرص لينهل من المعارف الإلهيّة لما يؤهّله أن

(١) سورة النور، الآيات: ٣٠ـ٣١.

يكون الأفضل في يوم القيامة، لأنّ الفضل على درجة المعرفة، وهذا ما أشار إليه إمامنا الصادق عليه السلام بقوله:

«ليس الفضل بالصلاة والصوم والحجّ وإنّما الفضل بالمعرفة»[١].

فربما يحجّ المرء ولا يعرف الحقّ وربما يحجّ ولا يعرف إمام زمانه، فمثل هذا الحجّ لا ينفع، لأنّ الله سبحانه ابتلى الإنسان ليرى من هو أحسنهم عملاً لا من هو أكثرهم عملاً، فالتعرّف إلى كيف العمل لا إلى كمّ العمل، حتّى أنّه ورد في كتاب الكافي أنّه يستحبّ قلّة العمل[٢]، لأنّ كثرة العمل ربما تؤدّي إلى العجب أو إلى الرياء والسمعة، ولهذا أيضا يعتمد علماء الأخلاق على حسن العمل، ولكن لكي يكون العمل حسناً لابدّ من شروط؛ وأهمّ هذه الشروط حسن العقيدة، أي أنّ أوّل الشروط: الإيمان حيث إنّ العمل بلا إيمان لا ثواب فيه ولا قيمة له[٣]، فإذن الكفر يحبط العمل مهما كان هذا العمل كثيراً وكبيراً[٤]، وخير شاهد على ذلك ما حصل للشيطان ذلك العابد الذي تعجّبت من عبادته الملائكة إلاّ أنّه في لحظة غرور وعجب أنهى كلّ شيء، واضطرّ

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف في ميزان الحكمة ـ كلمة عرف.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف عن حنان بن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبدا فعمل قليلا جزاه بالقليل الكثير... أصول الكافي: ٢، ٩٢، وعنه عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إني لأحب أن أداوم على العمل وإن قل». وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ـ أصول الكافي: ٢، ٨٨.

(٣) في هذا إشارة إلى الآيات الكريمة في سورة العصر حيث تقول السورة: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ (العصر: ١ـ٣)، ولم تكتف السورة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، كما أنّها لم تكتف فقط بالإيمان بل أردف ذلك بالعمل الصالح ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، بل ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف عن أبي أمية يوسف بن ثابت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يضر مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل...»، الكافي: ٢، ٤٥٣.

لمطالبة الله تعالى بأجره الدنيوي، فأعطاه الله تعالى أجره حيث أنظره إلى يوم معلوم[١]، وهكذا كلّ من يعمل عملاً جبّاراً لا ثواب له في الآخرة طالما هو كافر، وترى ذلك واضحاً في هذا العالم الذي خدم البشرية خدمةً لا يستهان بها وأقصد بذلك (أديسون) مكتشف الكهرباء، إنّما أجره حصل عليه في الدنيا، فكلّما بقيت الكهرباء ونفعت بقيت ذكرى أديسون قائمة إلى حين، وأمّا في يوم القيامة فإنّه يحبط العمل بالكفر، لأنّ حسن العمل مشروط بالإيمان.

الشرط الثاني ـ العلم والمعرفة: فإنّ العالم خيرٌ من العابد الجاهل[٢] حتّى لو عبد الله تعالى ليل نهار فإنّ عمله لا يرتقي إلى مستوى عمل العالم، فلذلك قال أمير المؤمنين روحي فداه:

«قصم ظهري اثنان: جاهل متنسّك، وعالم متهتّك».

فترى الذي قصم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام ذلك العابد الجاهل، لأنّ حسن العمل بالمعرفة، وحسن العقيدة بالمعرفة، والفضل بالمعرفة.

الشرط الثالث ـ التقوى: لأنّ الله تعالى لا يتقبّل من الفاسق:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وإن كان العمل مسقطاً للتكليف، ولكن قبول العمل غير سقوط وجوبه،

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة التي تبين المحاورة بين الله سبحانه والشيطان الذي طلب من ربه أجره فقال كما في الآية الشريفة: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤-١٥).

(٢) إشارة إلى أحاديث كثيرة في هذا المعنى، ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر»، قصار الجمل للمشكيني: ٢، ٦٢. ولا يكون للعالم فضل على العابد إلا إذا كان العابد ليس بعالم.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

فصلاته قد أسقطت التكليف لكن لا تكون مقبولة[١]، ولا ناهية عن الفحشاء والمنكر، ولا معراجاً إلى السماء، ولا تكون هذه الصلاة الفارغة عن المضمون قرباناً، لأنّ الصلاة قربان كلّ تقيّ ومعراج كلّ مؤمن، ففي هذه الصلاة الفارغة لا يحسّ بالمعراجيّة إلى الله سبحانه.

إذا عرج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة إلى السماء، فإنّ المؤمن يعرج في كلّ صلاة إلى الله تعالى، وهذا ما يؤكّده الحديث الشريف:

«الصلاة معراج المؤمن».

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عرج به إلى السماء ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كذب الفؤاد ما رأى.

فلماذا لا نرى في صلاتنا شيئاً، إذا كانت الصلاة معراج المؤمن؟.

فالجواب واضح جدّاً وهو أنّ الحُجُب التي بيننا وبين الملكوت هي الحائل دون الرؤية، ونجد أنّ نبيّ الله إبراهيم عليه السلام حينما طلب من ربّه رؤية الملكوت، تفضّل عليه ربّه وأراه ملكوت السماوات والأرض[٢] أي أراه ظاهر كلّ شيء وباطنه، لأنّ لكلّ شيء ظاهراً وباطناً حتّى الجنّة والنار لهما ظاهر وباطن، مع أنّ من الأشياء ظاهره الرحمة وباطنه الغضب، وربما العكس ظاهره الغضب وباطنه الرحمة.

فظاهر هذه الأشياء التي أمامنا تسمّى بالملك وباطنها يسمّى بالملكوت، ولهذا

---

(١) إشارة إلى الأحاديث التي تبين أن الصلاة إذا كانت فارغة المضمون ليس لها قيمة تذكر كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، قال الصلاة حجزة الله وذلك أنها تحجز المصلي عن المعاصي ما دام في صلاته، وكما في قوله عليه السلام: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله وإذا ردت رد عليه سائر عمله» ـ قصار الجمل: ١، ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥).

نرى الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه يقول: (أللهم أرنا حقائق الأشياء)[١]، يعني اللهمّ أرنا ملكوت الأشياء وأرنا هذه الحالة التي تعمّ جميع الكون وهي تسبيح هذا الكون لبارئه، إلاّ أنّنا لا نفقه تسبيحهم بسبب الذنوب التي صارت حجابا بيننا وبين هذا التسبيح، فكلّ شيء يسبّح ويهلّل لله سبحانه وتعالى، وذلك في سيره التكاملي في حركته الجوهرية، وكلّ شيء يمشي لكي يصل إلى معشوقه الأوّل وهو الله تعالى، وهذا التسبيح هو مقام الجلال، والحمد لله هو مقام الجمال، والشواهد والقصص في هذا الباب كثيرة، فإنّ أحد أولياء الله تعالى يسمع حفيف الشجر ويسمع من خلاله التهليل والتسبيح، وذلك من ضرب الورق بعضه ببعض، فيمكن للإنسان أن يصل إلى هذه المرحلة، فلا تعجب من ذلك، فقد اتّفق الفريقان ــ السنّة والشيعة ــ على أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال في الحديث القدسي عن الله تعالى:

«العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته أكون سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ويده التي بها يبطش».

فيكون سمعه سمع الله، وبصره بصر الله، ويده يد الله، ويد الله فوق أيديهم، ينقل أنّ شابّاً اشتكى عند عمر بن الخطّاب على أبي الحسن علي بن أبي طالب أسد الله الغالب عليه السلام بأنّه ضربه في السوق فاحمرّ وجهه، فقال عمر: يا أبا الحسن، لِمَ ضربته؟ قال: لأنه نظر إلى امرأة أجنبية ورأيت ذلك منه، فضربته كي يمتنع عن هذا، فقال عمر بن الخطّاب: عين الله رأت ويد الله ضربت، هذه معرفة عمرية، فكيف بالمعرفة العلويّة؟! فأكثر أولياء الله وصلوا إلى هذا المقام، وكلّ واحد له أن يصل إلى هذه المرحلة سيّما الشباب، فإنّه يكفيهم التحرّك بقدمين: القدم الأولى أن يضعها على النفس[٢]،

---

(١) إشارة إلى الدعاء الوارد في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.

(٢) مراد السيد الأستاذ أن يسحق المؤمن العاقل هوى النفس ويضع جميع شهواتها تحت قدمه لكي ←

والقدم الثانية في الجنّة، فإنّ في مخالفة الهوى ومخالفة النفس الجنّة، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(١)].

والجنّة يمكن رؤيتها لأنّها من الملكوت، وكلّما وصل الإنسان إلى الرتبة التي تؤهّله لرؤية الملكوت فإنّه يراها، وخير شاهد على ذلك الرجل الذي جاء إلى أستاذنا رحمه الله وهو رجل قروي يقول: عندما قمت إلى صلاة الليل نظرت إلى السماء وإذا بي أرى عرش الله تعالى، وقطعاً إنّه رأى العرش المسمّى وليس العرش الاسمي[(٢)]، وهذا يتمّ بشروطه، التي هي حسن العمل، والعلم والمعرفة، والتقوى، لأنّ الله سبحانه إنّما يتقبّل من المتّقين.

الشرط الرابع ــ الولاية: جاء في الحديث الصحيح في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: (لو عبد الإنسان ربّه بين الركن والمقام في الليل والنهار حتّى يكون كالشنّ البالي قائماً ليله صائماً نهاره ولم يوال علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّه لا يقبل منه)[(٣)]، فحسن العمل ولاية أهل البيت عليهم السلام، فهذا هو الذي جعل العدوّ يشهد لعلي عليه السلام بقوله[(٤)]:

ينتصر على هواه ويخالفه، فإن في مخالفته دخول الجنة، وكما في الآية الشريفة: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠ـ٤١).

(١) سورة النازعات، الآيات: ٤٠ـ٤١.

(٢) تفصيله في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله) للسيد المحاضر، وهو مطبوع.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: لابن المغازلي، وللسيد الأستاذ بحث مفصل عن الولاية في كتابه القيم (هذه هي الولاية) المجلد الخامس من موسوعة (رسالات إسلامية) فراجع.

(٤) قال ذلك أحد العباسيين، وهو الناصر العباسي.

قسما بمكة والحطيم وزمزم	والراقصات وسعيهن إلى منى
بغض الوصي علامة مكتوبة	كتبت على جبهات أولاد الزنى
من لم يوال في البرية حيدرا	سيان عند الله صلى أم زنى

فحسن العمل يعتمد على المعرفة والتقوى والإيمان والولاية ، إذن من عرف أهل البيت عليهم السلام حقّ المعرفة فإنّه لا يرتكب ذنباً ، وكذلك من عرف الله تعالى وأنّه يرى عمله كما أنّ رسوله والمؤمنين الذين هم أهل البيت عليهم السلام يرون الأعمال[1] ، وقد يراه أيضاً الأمثل فالأمثل أي من كان قريباً من الأئمة كزينب الكبرى وإن كانت هذه الرؤية جزئية وليست كلية ، فإنّه لا يقدم على أيّ ذنب حياءً وخجلاً ممّن يرى ، فإذا عرفنا أنّ الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف تُعرض عليه الأعمال في كلّ خميس واثنين[2] ، وتيقّنا ذلك وآمنّا به ، فعندها لا يمكن أن يصدر منّا ذنبٌ.

وهكذا فإنّ من يدخل إلى حرم السيّدة زينب الكبرى عليها السلام وهو يعلم أنّها تراه ، فإنّه لا يعصي الله سبحانه خجلاً منها واحتراماً لها ، فتكون زينب عليها السلام سبباً في منعه عن المعصية ، لأنّ الدخول في رحابها يجعل الداخل في عالم آخر ، ولكن لو دخل إليها ومع كلّ ذلك عصى ربّه وأساء الأدب في الحرم الزينبي ، فهذا مثله مثل أولئك الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما لنا يا رسول الله عندما نجلس إليك وتحدّثنا عن الدنيا نزهد فيها ونتوجّه إلى الله ، ولكن إذا خرجنا منك ولقينا الأهل والأولاد نسينا كلّ ذلك فأدركنا يا رسول الله لعلّنا صرنا من المنافقين ، فأجابهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تعرض أعمال الناس كل جمعة مرتين، يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناء، فقال اتركوا هذين حتى يصطلحا»، قصار الجمل: ٧٢، وهناك أحاديث كثيرة تشير إلى عرض العمل في يومي الخميس والاثنين.

«لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع».

ومن الشواهد على هذا وصيّة سيّدنا الأستاذ المرعشي النجفي رحمة الله عليه إلى ولده السيّد محمود، يقول: (ولدي محمود، إنّي من خلال الأوراد والأذكار وصلت إلى مقام أسمع ما لا يسمعه غيري، وأرى ما لا يراه غيري)[1]، وكثير معي عاصروا هذا السيّد الجليل فليس الكلام عن هذا من المثاليات، بل هو قدوة حاضرة، فإذن لابدّ من المعرفة والعمق فيها لنزداد عملاً حسناً، ونحصل على سلوك أخلاقي رفيع، ولكي نزداد خضوعاً وخشوعاً وتقرّباً إلى الله تعالى، لابدّ من معرفة أهل البيت عليهم السلام والتعمّق في معرفتهم ومعرفة مقامهم الشامخ، لأنّهم الوسيلة إلى الله تعالى، ولكن إنّما تتمّ المعرفة من خلالهم، بل حتّى لو أردنا معرفة القرآن الكريم فلابدّ أن يكون من طريقهم وهذا ما يؤيّده حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين في أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[2].

فهما لن يفترقا في كلّ شيء، فمتى ما كان القرآن الكريم كان ترجمانه معه، لأنّ القرآن الكريم هو القرآن الصامت التدويني، وأهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق العلمي[3]، وإنّي أرى أنّ القرآن كان قبل خلق الإنسان ويدلّ على ذلك ما جاء في سورة الرحمن في قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[4].

---

(١) كما جاء في كتاب السيد الأستاذ العلوي (قبسات من حياة سيدنا الأستاذ).

(٢) هذا الحديث جاء في كتب الفريقين، أخرجه الترمذي: ٥، ٣٣٨، الحديث ٣٨٧٤، وفي ينابيع المودة للقندوزي: ٣٣. كنز العمال للمتقي الهندي: ١٥٣. وغيرها من الكتب السنية المعتبرة، وهو عندنا من باب أولى.

(٣) لأنّ للقرآن مراتب ووجودات متعددة ومن مراتبه القرآن العيني الذي يترتب عليه الأثر وهم أهل البيت عليهم السلام.

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ١ـ٤.

فالإنسان يكون بين علمين علم القرآن وعلم البيان، بل إنّ الإنسان خلق بين علم القرآن وعلم بيان القرآن، ولكن لابدّ للقرآن من مبيّن ألا وهم أهل البيت عليهم السلام ومن حذا حذوهم من العلماء الصالحين، وبما أنّنا عرفنا أنّ أهل البيت لن يفترقوا عن القرآن، فيلزم أن يكونوا مع القرآن في أوّل وجوده، ويكونوا بهذا قد سبقوا الخلق بوجودهم.

فإذا أردنا أن نعرف القرآن فلابدّ أن يكون من خلالهم عليهم السلام ونعرفهم من خلال القرآن، ولا نقول كما قال غيرنا حسبنا كتاب الله، ولا نقول كما قالوا: حسبنا أهل البيت عليهم السلام[١]، بل نقول القرآن مع أهل البيت لن يفترقا، ولهذا الترابط الوثيق نجد أهل البيت عليهم السلام يحثّون شيعتهم على عرض أقوالهم وأحاديثهم على القرآن الكريم، فما وافق القرآن نأخذ به، وما خالفه نضرب به عرض الجدار، وأنّه من زخرف القول، وباطل لم يصدر عنهم، لأنّهم لا يخالفون القرآن[٢]، وهذا معنى قول أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما رفع القرآن على الرماح في صفّين:

«أنا القرآن الناطق».

---

(١) أول من قال ذلك هو عمر بن الخطاب في مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما طلب منهم صلى الله عليه وآله وسلم دواة وكتفا ليكتب لهم كتابا وحصل نزاع بين القوم بين من يؤيد إحضار الدواة والكتف وبين من لا يؤيد ذلك، فحسمها عمر بقوله هذا: (حسبنا كتاب الله)، أي لا حاجة بنا إلى غيره، ولا نقول إن أهل البيت عليهم السلام يغنونا عن كتاب الله تعالى لأنهما لن يفترقا فلابد من التمسك بهما لا بأحدهما دون الآخر.

(٢) ورد عنهم أحاديث كثيرة تحث شيعتهم على عرض ما ورد عنهم على كتاب الله تعالى لكي يمتاز ما كان عنهم عن ما وضع من الواضعين لأن حديثهم لا يختلف عن ما في القرآن الكريم ومن هذه الأحاديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» (بحار الأنوار: ٢، ٢٢٧)، وهناك أحاديث وردت فيها كلمة (فاضربوا به عرض الجدار) (فهو زخرف لم نقله)، والكل يؤدي نفس المعنى.

وهذا قرآن صامت مع ما له من الإكرام والعزّة، فإذا عرفنا هذا الكلام سيبدو بنا الشوق للقاء إمامنا الحجّة عليه السلام هذا الأمل الوحيد للشيعي الخالص المخلص، بل أمنية كلّ مؤمن أن يرى مولاه وإمام زمانه عليه السلام ولكن إذا منعتك الموانع[١] من رؤيته فها هو شريكه بين يديك وهو كتاب الله العزيز عدل صاحب الزمان، فلْنشتَقْ إليه ونقُمْ له إجلالاً كما نقوم عند ذكر صاحب الزمان، فإذا كان مدلول قيامك لإمامك الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هو أنّك منتظر خروجه، فإنّ هذا القرآن لابدّ من احترامه والقيام له، فإنّه كتاب عزيز كريم، ولذا نجد السيّد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان كان لا يبيت في مكان فيه قرآن، ولا يمدّ رجله في مكان فيه قرآن أبداً في طوال حياته تعظيماً للقرآن الكريم، فإذا أردنا أن نحترم القرآن لابدّ من تأدية حقّه، وهو أن نتلو منه في كلّ يوم على أقلّ التقادير خمسين آية كما ورد في الروايات الشريفة[٢]، فنأنس بالقرآن وبأهله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وقد نزل الوحي في بيوتهم، ألا وهم محمّد وآل محمّد عليهم السلام، ومن آل محمد زينب الكبرى روحي فداها، ولا يزال الحديث عن مقام من مقاماتها الشامخة، ألا وهي عصمتها، وهذا ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) هذه الموانع هي الذنوب والمعاصي التي أشار إليها الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في وصاياه لشيعته فقال في هذه الفقرة: «ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا».

(٢) عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آي»، أصول الكافي: ٢، ٥٨٢.

المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

ما زلنا وإيّاكم في رحاب السيّدة زينب الكبرى، في رحاب روضة العلم والنور، وقد كان الحديث عن أحد مقاماتها ألا وهو عصمتها، فهل إنّ زينب الكبرى معصومة؟

وهل هناك فرق بين عصمتها وعصمة أمّها الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام؟

هذا ما سنتحدّث عنه اليوم إن شاء الله تعالى.

قبل الوصول في حديثنا إلى عصمة السيّدة زينب عليها السلام لابدّ لنا أن نتحدّث عن عصمة أمّها الصدّيقة الطاهرة إجمالاً.

فنقول: إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام تتجلّى فيها العصمة الإلهيّة الكبرى، لأنّ الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فعند خلقه للإنسان أشار إلى فلسفة خلقته، وبيّن أنّ المراد من خلق الإنسان هو تكامل هذا الإنسان[1]، وإنّ هذا التكامل لا يتمّ إلاّ

---

(١) إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). ومن تفاسير كلمة (ليعبدون) أي ليعرفون، فإنّ المعرفة هي أساس العبادة لأن (أول الدين معرفته) وبالمعرفة يتكامل الإنسان.

بالرحمة والعلم والعبادة فيصير الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض ويكون مظهراً لأسمائه وصفاته وقال تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

وهذه الخلافة هي خلافة الأسماء والصفات[٢].

فالخلافة تارةً تكون مادّية وأخرى أخلاقية، وخلافة الإنسان لله تعالى هي من القسم الثاني، ونسمّيها بخلافة الأسماء والصفات، لأنّ الله تعالى ذات محيطة بكلّ شيء ولا يحاط به، فمعرفة ذاته محال، بل تقود إلى الحيرة والضلال كما ورد في الحديث الشريف[٣]، إلاّ أنّ لنا أن نعرفه من خلال أسمائه وصفاته، وأمرنا الشارع بذلك فلنا أن نتفكّر بصفاته الذاتية والفعلية وكونه عالماً وقادراً وحيّاً، وأنّ هذه الصفات تتجلّى في خلْقه فترى الخلْق كلّه يسبّح بحمده[٤]، فمثلاً نرى صفة الحياة تتجلّى في خلقه، ولكن هذه الحياة لها مراتب متعدّدة، كالرتبة الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية والملائكية، والرتبة العليا هي الرتبة الإلهية، وهكذا قدرته وكلّ أسمائه وصفاته تتجلّى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وفي الآية ٣٦ من سورة ص ما يدل على الخلافة الإلهية.

(٢) مراده من خلافة الأسماء والصفات هو التخلق بأخلاق الله تعالى كما ورد في الحديث الداعي إلى التخلق بأخلاق الله تعالى وعكس صفاته وأسمائه فيكون الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يحمل كل صفات الله تعالى فاستحق أن يكون خليفته في ذلك.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف: عن أبي جعفر عليه السلام: «تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله، فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيرا» الكافي، الجزء الأول، باب التوحيد.

(٤) إشارة إلى الآيات القرآنية الكثيرة التي تصرح بأن كل ما في الوجود يسبح لله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤). وهذا ما ورد في سورة الحشر أيضا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ١)، وهذه الآية تكررت في سورة الصف ـ سورة الحديد ـ وسورة الجمعة بزيادة.

وتظهر في هذا الكون الذي هو مرآة عاكسة لصفات الله تعالى، والذي يجمع هذه الصفات ويعكسها كلّها وتتجلّى فيه هو الإنسان الكامل فيسمّى بجامع الجمع[١]، لأنّ هناك من المخلوقات ما يتجلّى فيه صفة واحدة من صفات الله تعالى وبعضها أكثر من ذلك وكلّ بحسبه، فالإنسان الكامل هو المخلوق الوحيد الذي تتجلّى فيه ألف وواحدة من الصفات، وتسع وتسعون منها تسمّى بالأسماء الحسنى لورودها في القرآن الكريم، وهذه الأسماء لها الأثر التامّ عند الدعاء بها، ولكن لابدّ لنا أن نعرف من هو الإنسان الكامل؟ فيكون الجواب هو من كانت له الرتبة العليا والسيادة المطلقة على الخلق ألا وهو النبيّ الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أنّ هذه الأسماء والصفات تتجلّى كاملةً في الحقيقة المحمّدية، وهذه الحقيقة تتجلّى في الأنبياء والأئمة عليهم السلام ثمّ العلماء ثمّ الأمثل فالأمثل، فلهذا صار الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض الذي يحمل أسماء الله تعالى وصفاته.

ومن أسماء الله تعالى وصفاته اسم الطاهر والمعصوم أي المنزّه عن كلّ نقص وقبيح، مع أنّه قادر على فعل القبيح، إلاّ أنّه لا يفعل القبيح وهذا ما يعتقده الشيعة في قبال اعتقاد الأشاعرة والمعتزلة[٢]؛ لأنّه بفعله القبيح يكون محتاجاً أو جاهلاً أو ناقصاً، ولكنّه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

---

(١) سمي بجامع الجميع لأنه جامع لجميع الصفات الإلهية والأسماء الحسنى.

(٢) هناك ثلاثة أقوال في المسألة: الأشاعرة: قالوا بأنه تعالى فاعل لكل فعل حتى القبيح ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فتعالى الله عن ذلك.

المعتزلة: فرارا من هذا القول قالوا: القبيح فعل صادر من الإنسان وليس لله تعالى أي دخل فيه فعزلوا الله تعالى عن سلطانه، فلزم من ذلك النقص والنقص قبيح.

الإمامية: يقولون إن الله تعالى على كل شيء قدير حتى على فعل القبيح، لكنه لا يفعل القبيح لعدم وجود الداعي، لأنه ليس بجاهل أو محتاج أو عابث أو مجبور على فعل القبيح، فإذا انتفى الداعي لفعل القبيح امتنع وقوعه. (وهناك تفصيل في المسألة مذكور في محله).

فالله تعالى هو الطاهر مطلقاً والمعصوم مطلقاً بالقيام إلى غيره أي الممكن الذي تحدّه بداية ونهاية، والذي تكون العصمة فيه أمراً نسبياً، بينما تكون في الله تعالى مطلقة، لأنّه أزلي أبدي سرمدي وهو الخالق للزمن وما وراء الزمن.

وبناءً على ما سبق فإنّ العصمة والطهارة تتجلّى في الأنبياء وفي الأئمة عليهم السلام، لأنّ مسؤولية الجميع واحدة ووظيفتهم واحدة، فالنبي مسؤول عن هداية البشر والإمام مسؤول عن حفظ هذه الهداية وإدامتها، فتتجلّى العصمة الإلهية في الأنبياء، وتتجلّى العصمة الإلهية والنبوية في الأئمة، فعلى هذا لابدّ للخليفة الذي يلي الرسول في مهمّته الإلهية وحفظ الرسالة، أن يكون معصوماً، لأنّه الحافظ للشريعة التي جاء بها النبيّ، ثمّ إنّ القرآن الذي هو كتاب الهداية معصوم من كلّ خطأ، فلابدّ لحافظه ومفسّره ومبيّنه أن يكون معصوماً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة التي أمرتنا أن نعتصم بحبل الله تعالى وقالت:

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1].

فلو لم يكن الحبل معصوماً لما طلبت الآية الاعتصام به، ونحن نعلم أنّ القرآن الناطق هو الإمام فلابدّ له أن يكون معصوماً.

وإلى ذلك أيضا أشارت الآيات القرآنية في قصّة الطوفان وسفينة نوح عليه السلام وبيّنت أنّ السفينة هي المكان الوحيد للنجاة وكلّ ما سواها لا يعصم من الغرق حتّى الجبل بشموخه وصلابته، فإنّه لا يستطيع أن يحمي ابن النبي نوح عليه السلام الذي التجأ إليه[2]، ففي هذا دلالة واضحة على عصمة السفينة ومن ركبها ينجو ومن يتخلّف عنها يغرق

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ (هود: ٤٣).

ويهوى، ولوجود مناسبة وتشابه بين سفينة نوح عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام نرى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يمثّل أهل بيته بسفينة نوح ويأمر الأمّة في مواطن عديدة بالتمسّك بهم حيث أشرت إلى ما يقارب أربعين وجهاً بين آية السفينة وحديث السفينة[1] وهو قول الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في حقّهم:

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[2].

فالعصمة الإلهية إذن تتجلّى في النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ تتجلّى في الوصيّ من بعده عليه السلام، وهذه العصمة عصمة ذاتية كلّية، فكما تتجلّى في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تتجلّى أيضاً في خلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الاثني عشر عليهم السلام الذين كلهم من قريش كما ورد في الصحيحين[3]، ولهذه العصمة النبويّة والولويّة جامع ألا وهي فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي جامعة للنور النبوي والنور العلوي، فلذا يعبّر عنها بالصدّيقة الكبرى ويعبّر عنها بعصمة الله تعالى، لأنّها جمعت بين العصمتين، ثمّ إنّ هذه العصمة منحها الله تعالى لعباده ناشئة عن اختبار وامتحان فامتحن الله تعالى الأنبياء بأن شرط عليهم العلم والزهد في هذه الدنيا الدنيّة، فشرطوا له ذلك، وعلم منهم الوفاء فقبلهم وقرّبهم إليه، وهذا ما أشار إليه الإمام عجل الله فرجه الشريف في دعاء الندبة، حيث يقول: (بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك

---

(١) جاء بيان ذلك في (الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله) فراجع.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٣٥. مستدرك الحاكم للنيسابوري: الجزء ٣. المراجعات للإمام شرف الدين: ١٧.

(٣) روى البخاري عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كنا اثني عشر أميرا، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: كلهم من قريش (صحيح البخاري: ٩، ٨١). وفي صحيح مسلم: «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»، (صحيح مسلم: ٦، ٤).

ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقرّبتهم وقدّمت لهم الذكر العليّ والثناء الجليّ)[١].

إذن عصمهم الله تعالى بعد اختباره لهم في العوالم السابقة ــ كعالم الجبروت والملكوت والأرواح والأمثال ــ على هذا العالم الناسوتي، وهكذا بالنسبة لفاطمة الزهراء عليها السلام اختبرها الله تعالى بالصبر كما ورد في زيارتها يوم الأحد: (السلام عليكِ يا ممتحنة، امتحنكِ الله الذي خلقك قبل أن يخلقكِ، وكنت لما امتحنكِ به صابرة)[٢]، فإذن اختبرها الله تعالى بالصبر الذي هو أساس الأخلاق ولم يختبرها بالزهد، لأنّ الزهد فرع من فروع الأخلاق، فلو سأل سائل: لِمَ اختبر الله تعالى أنبياءه بالزهد؟ فالجواب: إنّ الزهد في هذه الدنيا يؤهّل النبيّ لممارسة وظيفته التي بعث من أجلها، ألا وهي هداية الناس، فلا يكون غير الزاهد في الدنيا له القدرة على دعوة الناس للآخرة، فزهد الأنبياء يؤهّلهم للخوض في المجتمعات وعدم التلوّث بالمحيط الكافر، والبيئة المتلوّثة بالشرك والمعاصي.

نكتة أخلاقية

إنّ العلماء ورثة الأنبياء كما ورد في الأخبار الشريفة، وللنبيّ أكثر من عشرين مقاماً ومن هذه المقامات مقام الهداية والحكمة والزهد، ولهذا فإنّ كلّ نبيّ زاهد حتّى النبيّ سليمان عليه السلام الذي ملك الدنيا بأسرها، لأنّ الزهد جمع في كلمتين كما في القرآن الكريم:

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[٣].

---

(١) مفاتيح الجنان: دعاء الندبة، ٦٠٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ٩٦، زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام يوم الأحد.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

فإذا قلنا إنّ العالِم يرث النبيّ، فلابدّ أن يكون زاهداً فضلاً عن علمه، وهذه اللابدّية أخلاقية وليست شرعيّة، لأنّ الزاهد يحكم قلوب الناس، فلهذا حكم الأنبياء على قلوب المؤمنين به، وهكذا العالم الرباني فإنّه يحكم على قلوب المؤمنين إذا كان زاهداً ورعاً تقيّاً، فإذا كان الزهد شرطاً للنبوّة في عالم الذرّ فهو شرط للعلماء في هذا العالم الناسوتي.

فإذن تبتني عصمة الأنبياء الذاتية الكلّية الواجبة على العلم والزهد، وأمّا النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فقد ابتنت عصمتهم على العلم والصبر.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

الفرق بين العصمتين

أقول: إنّ هناك فرقاً بين عصمة الأنبياء السابقين لنبيّنا عليهم السلام وبين عصمة خاتم الأنبياء وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولكن هذا الفرق من حيث المبادئ والنتيجة، أي أنّ عصمة الأنبياء يصدر معها ترك الأولى[2]، ولكن عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته لا يصدر معها ترك الأولى، كما يلاحظ ذلك في قصّة آدم وداود عليهما السلام[3]، إلاّ أنّ ترك الأولى لا يضرّ بالعصمة.

---

(١) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٢) مراده من ترك الأولى هو أن الأولى للإنسان أن يفعل كذا لأنه في مصلحته ولائق بحاله، ولكنه لو لم يفعل فيسمى تاركا للأولى، وترك ماهو أولى من غيره ليس بمعصية لأنه مخالفة لأمر إرشادي وليس لأمر مولوي أي أمر واجب.

(٣) في قصة آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها فكان الأولى أي الأحسن أن لا يأكل منها ولكنه خالف الأمر الإرشادي وأكل وهذا ما ذكرته الآيات القرآنية، وقصة داود عليه السلام الذي كان الأولى به أن يستمع إلى أصحاب الدعوى على حد سواء ولا يسمع أحدهما ويترك الآخر ولكنه استمع إلى أحدهما دون الآخر، وهذا مذكور في الآيات القرآنية.

ثمّ إنّ العصمة التي تبتني على الصبر تجعل صاحبها على درجة من اليقين بحيث لو كشف له الغطاء لما ازداد يقيناً بينما نرى أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام طلب من ربّه أن يرى ما يطمئنّ به القلب، وهذا لأنّ عصمته بنيت على العلم والزهد، في حين أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يطلب ذلك من ربّه لأنّ صبره أساس الأخلاق، واليقين جزء من الأخلاق، إنّ الزهد والتقوى جنديّان من جنود العقل وحبّ الدنيا من جنود الجهل كما هو مبيّن في محلّه[١].

فلابدّ للعاقل من الاتصاف بالزهد والتقوى وباقي الصفات التي عدّها الله من جنود العقل، والصبر أساس لكلّ هذه الجنود، كما عند علماء الأخلاق والعرفان أنّ مراحل التهذيب عبارة عن التخلية والتحلية والتجلية، وكلّها تبتنى على الصبر.

فبالصبر لم يصدر من علي عليه السلام ترك الأَولى، فلا يقال لمثله عليه السلام: كان الأَولى له أن يفعل كذا في سياسته أو اقتصاده، وأعماله وسلوكه، وهكذا كان أولاده المعصومون عليهم السلام بالعصمة الذاتية المبتنية على العلم التامّ اللدنّي وعلى الصبر.

فإذا عرفنا أنّ العصمة التي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام عصمة ذاتية، أي ذاتاً، عصمهم الله من كل شين ونقص وذنب وخطأ ونسيان وحتّى ترك الأولى في النبيّ محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، وذلك باختبار وامتحان منه سبحانه في العوالم السابقة، فأعطاهم الله العصمة، فإذا عرفنا هذا، فإنّ التي عند زينب وأمثال زينب الذين تربّوا في أحضان النبوّة والإمامة[٢] عصمة أفعالية، أي لم يرتكبوا الذنب في أفعالهم من حين ولادتهم وحتّى حين وفاتهم، فعصمتهم هذه تسمّى بالعصمة الأفعالية

---

(١) ذكر أهل البيت عليهم السلام أن للعقل جنودا وللجهل جنودا، وهذا مفصل في أصول الكافي باب العقل والجهل، فراجع.

(٢) من أمثال زينب الكبرى الذين تربوا في أحضان النبوة أو الإمامة كأبي الفضل العباس وعلي الأكبر وفاطمة بنت موسى بن جعفر سلام الله عليهم وغيرهم.

أو الكسبية وأنّها الجزئية وليست عصمة ذاتية فلا تجب عليهم عقلاً، لأنّ العصمة الذاتية مختصّة بالأنبياء والأئمة وفاطمة عليهم السلام.

ثمّ لا بأس من أجل توضيح العصمة الذاتية والعصمة الأفعالية والفرق بينهما أذكر هذا المثال الطبّي، ولا يخفى أنّ المثال كما يقال (يقرّب من جهة ويبعّد من ألف جهة) وأنّه لا مناقشة في الأمثال، فالمقصود وهو تقريب المعقول بأمر محسوس.

ففي الطبّ العصري يلقّح الأطفال منذ الصغر بتلقيح عدم الشلل، فمن يُلقّح ــ من قبل الأبوين مثلاً ــ في صغره فإنّه يعصم من الشلل، حتّى ولو وقع في محيط غير صحّي، فكأنّه يعصم من اليوم الأوّل على عدم التلوّث بالشلل، ومن لم يلقّح فإنّه يمكن أن لا يتلوّث أيضاً إلاّ انّه هو بأفعاله ووقايته يبتعد عن البيئة الملوّثة فينجو من الشلل أيضا، إلاّ أنّه بأفعاله، لا بتلقيح الطبيب والوالدين.

فالعصمة الذاتية تلقيح إلهي للأنبياء والأئمة الأطهار بعد اختبارهم في العوالم السابقة، ونجاحهم في الامتحانات الإلهيّة، كنجاحهم في الدنيا، كما ابتلي إبراهيم الخليل بكلمات فأتمّهن.

وأمّا العصمة الأفعالية فتلقيح في الأفعال بأن يتّقي الذنوب وأن لا يتلوّث بها حفظاً لبقاء سلامته، وكلاهما بالاختيار والاختبار، فلا يقال: لو كانت العصمة ذاتية، فلا فضل لمن اتّصف بها، ثمّ العصمة الذاتية كلّية تعمّ العصمة عن الذنوب والخطأ والنسيان وما يشين الإنسان، بخلاف الأفعالية فإنّها العصمة عن الذنوب والمعاصي، وأمّا القضايا الاجتماعية أو الاقتصادية فربما يُخطئ فإنّه غير معصوم.

ثمّ العصمة الذاتية للأنبياء واجبة عقلاً ونقلاً، أي لابدّ منها، ويدلّ على ذلك الأدلّة العقليّة، كعدم الاعتماد على قول من لم يكن معصوماً، والأدلّة النقلية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كآيتي التطهير والولاية وحديث الثقلين والسفينة،

وأمّا العصمة الأفعالية فلم تكن ضرورية، وبهذا ربما يصدر من غير المعصوم ما يتنافى مع العصمة الذاتية.

والعصمة الذاتية المطلقة إنّما تكون بنصّ من الله سبحانه كما يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «الإمام منّا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلق لتعرف، ولذلك لا يكون إلا منصوصا»[1].

وكون النبيّ والعترة الطاهرة يمتازون بالعصمة الذاتية باعتبار علمهم اللدني الخاصّ من غير كسب متعارف، كما في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

فاليقين عند الإمام المعصوم عليه السلام يختلف عن العلوم المتعارفة التي عند الناس، فيؤيّد النبيّ والإمام عليهما السلام بروح القدس.

في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي:

«يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوّة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى».

ثمّ قال:

«يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان، إلاّ روح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب»[3].

---

(١) معاني الأخبار: ١٣٢.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٣) الكافي: ١، ٢٧٢.

وفي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا»[2].

وفي صحيح أبي بصير قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[3].

قال:

«خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع الأئمة وهو من الملكوت»[4].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

«إنّ الله عزّ وجل أيّدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة، ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي مع الأئمة منّا، تسدّدهم وتوفّقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ»[5].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) الكافي: ١، ٢٧٣.

(٥) بحار الأنوار: ٢٥، ٤٨.

فقوله عليه السلام : **(لم تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ مع رسول الله وهي مع الأئمة منّا)** يدلّ على أنّ علمهم وفضلهم وعصمتهم يختلف عمّا سبق وعمّا لحق، فإنّه يختصّ بهم، وإنّهم أفضل الخلق، ولمثل هذه العصمة الأخصّ نقول بأنّهم عليهم السلام لا يصدر منهم ترك الأولى، بخلاف بقيّة الأنبياء والأوصياء، فإنّه لهم عصمة الخاصّ، وعند زينب عليها السلام عصمة العامّ، وما عند غيرها عصمة الأعمّ.

ومعنى العصمة في الأنبياء والأوصياء: لطف إلهي خاصّ باعتبار القوّة النورية الملكوتية الراسخة، فتعصم الإنسان في حياته.

فالنبيّ والإمام عليهما السلام لهما العلم الخاصّ وبطريق خاصّ يمنح صاحبه ملكة العصمة الخاصّة والمطلقة بإذن الله تعالى، فيكون الأسوة والقدوة المطلقة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١].

ثمّ الأمثل فالأمثل بمقدار ما عندهم من العلم والعصمة، ولمثل هذا نقول: إنّ زينب الكبرى عليها السلام هي من الأسوة والقدوة أيضاً.

ثمّ بهذه العصمة الكلّية تجب الطاعة المطلقة، كما تجب المودّة والمحبّة.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

«إنّما الطاعة لله عزّ وجلّ ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصيته»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

«الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنّهم معصومون مطهّرون»[٣].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥، ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق: ٢٥، ١٩٩.

وزبدة المخاض: يبدو لي من خلال المطالعة والمراجعة لمباحث العصمة في الكتاب والسنّة وعبائر الفلاسفة وعلماء الكلام، إنّما العصمة من الكلّي التشكيكي فلها مراتب طوليّة وعرضيّة، فبدايتها العدالة التي تشترط في كلّ مسلم وإمام جماعة: من إتيان الواجبات وترك المحرّمات، وأن لا يأتي بما ينافي المروّة كما عند البعض، ونهايتها عصمة الله الكبرى التي بلا نهاية، ثمّ بينهما مراتب، فبعد عدالة إمام الجماعة كما في مذهب أهل البيت عليهم السلام، يشترط العدالة في مرجع التقليد، وعندي عدالته أعلى رتبة من عدالة إمام الجماعة، كما ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد ــ المجلّد الأوّل)، ثمّ يأتي دور عصمة أمثال زينب الكبرى عليها السلام وهي التي نسمّيها بالعصمة الأفعالية العالية، ثمّ عصمة الأنبياء والأوصياء وهي العصمة الذاتية الكلّية المطلقة الواجبة، ثمّ عصمة الأربعة عشر معصوماً محمّد والأئمة الاثني عشر وفاطمة الزهراء عليهم السلام، والكلّ يشترك بالطهارة وبعدم ارتكاب الذنوب والمعاصي، إلاّ أنّه كلّ واحد يمتاز عن الآخر بخصائص ومميّزات، كعصمة الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام ليس فيها ترك الأولى، بخلاف عصمة الأنبياء فإنّه لا يضرّها ترك الأولى، وتفصيل الكلام يطلب من محلّه.

سؤال: لو سئل: من أين لنا أن نعلم بعصمة زينب عليها السلام ونحكم بأنّها معصومة بالعصمة الأفعالية؟.

الجواب:

نعرف ذلك من خلال سيرتها وما ورد في حقّها كما في غيرها، وأذكر لكم شاهداً على ذلك، ما ورد في حقّ فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أنّها كانت في سنّ أربع سنوات أو خمس عندما جاء بعض الشيعة إلى دار الإمام عليه السلام ليسألوا عن بعض المسائل إلاّ أنّهم لم يجدوا الإمام عليه السلام، فبعد طرق الباب خرجت لهم زوجة الإمام عليه السلام

وأخبرتهم بعدم وجود الإمام عليه السلام، فقالوا لها: إنّنا جئنا من مكان بعيد ولابدّ لنا من أجوبة هذه المسائل، فكيف بنا ومن نسأل؟ فقالت لهم زوجة الإمام عليه السلام: هنا في البيت فاطمة بنت الإمام عليه السلام، قالوا: إذن نسأل فاطمة، ولّما دخلوا عليها وسألوها أجابتهم بكلّ الأجوبة وبتمامها، فأخذوا أجوبتهم وذهبوا، ولّما جاء الإمام حدّثته زوجته بكلّ ما جرى وقالت: إنّ فاطمة أجابت بكذا وكذا، فقال عند ذلك:

«إنّ فاطمة حكمت بحكم الله سبحانه وتعالى».

وهكذا زينب عليها السلام كان عمرها سنتين كما ورد في الرواية وهي جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها أبوها:

«بنيّة قولي واحد».

فقالت: واحد، ثمّ قال لها:

«قولي اثنين».

فقالت: لا أقول يا أبتاه، قال:

«بنيّتي لِمَ لا تقولين اثنين»؟.

قالت: لساني جرى على الواحد ولا يجري على الاثنين، فمن تلك القصّة الأولى وهذه القصّة الثانية نفهم أنّ السيّدتين الجليلتين عالمتان غير معلّمتين، كما أنّهما تربّتا تربية نبوية علوية، ومثل هذه التربية لا تنتج إلاّ عصمة أفعالية، ثمّ عندما نطّلع على حالة زينب عليها السلام وهي تصلّي صلاة الليل في ليلة الحادي عشر من المحرّم في تلك الليلة التي تهدّ الجبال بمصيبتها نلمس من ذلك مدى علم زينب وعصمة زينب عليها السلام، وهذا ليس بعجيب فإنّ مثل هذه العصمة ثبتت لمن هو أقلّ من مقام زينب عليها السلام التي قال في حقّها الإمام زين العابدين عليه السلام:

«عمّة، أنتِ بحمد الله عالِمة غير معلَّمة وفهِمة غير مفهَّمة».

أي أنّ معلّمكِ هو ربّ العالمين فأنتِ لست بحاجة إلى معلّم آخر، فإنّه تعالى أدّبكِ فأحسن تأديبك، فهي عالمة لأنّها في أعلى مراحل التقوى وكانت مصداقاً واضحاً للآية الكريمة:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1].

وهي صابرة لم يسبقها في ذلك إلاّ أمّها فاطمة عليها السلام فلكلّ هذا هي معصومة بالعصمة الأفعالية.

وكما قلت لكم: إنّ هذه العصمة ثابتة لغيرها ممّن هو أدنى منها مرتبةً كسيّدنا الأستاذ النجفي المرعشي قدس سره، فإنّه قال لي يوماً وقد أقسم بفاطمة الزهراء عليها السلام انّه ما فعل شيئاً هوته نفسه قط، أي كان (مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) منذ اليوم الأوّل، فلهذا (على العوام أن يقلّدوه) كما ورد في الحديث الشريف، وكذلك السيّد الخوانساري قدس سره الذي قضى صلاته طيلة حياته ثلاث مرّات، مع أنّه من مراجع الدين وما كان ذلك إلاّ لشدّة احتياطه، فمثل هذه الأفعال تدلّ على عصمتهما الأفعالية.

وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«عجبت لمن يحبّ الله كيف يعصيه».

فالمحبّ لله تعالى لا يعصي الله تعالى ولا يفعل ما يؤثّر على هذه العلاقة مع ربّه ومولاه ومحبوبه، كما أنّه ورد في الحديث الشريف:

«ثمرة العلم العصمة».

فكلّما ازداد الإنسان علماً نافعاً وعملاً صالحاً ازداد عصمة وورعاً عن المعاصي والذنوب والآثام والقبائح، وهناك شواهد كثيرة أذكر منها ذلك الرجل المتواضع الذي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

لا يقرأ ولا يكتب أخي الحاجّ محمّد علي مشهدي، فإنّه كان له شرف اللقاء بالإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف تكراراً ولمّا سألته عن مؤهّلاته لذلك قال: إنّه ما كذب يوماً، ولا اتّهم أحداً، ولا استغاب شخصاً، بل بمقدار ما عرف من دينه لم يرتكب ذنباً منذ بلوغه، فالمعرفة والحبّ يستوجبان العمل والقرب، حتّى يصل المرء إلى العصمة في أفعاله، والتي نسمّيها بالعصمة الأفعالية، ولا بأس أن أذكر شاهداً آخر لتأثير حبّ الله في الحياة وفي أداء الواجبات، أذكر أنّي كنت راكباً في القطار مع بعض الشباب وكانوا من الجيش فلمّا وقف القطار ونزلنا لأداء الصلاة كان أحدهم لا يؤدّي الصلاة وبمجرّد أن سألته: هل تحبّ الله تعالى؟ قال: نعم، قلت له: اذهب وتكلّم مع من تحبّ، فقام فعلاً وذهب للصلاة، وغير ذلك من الشواهد ويكفينا ما نراه من طاعة العاشق لمعشوقه في العشق المجازي، مع أنّ الحبّ بينهما شهواني، فكيف إذا كان الحبّ الإلهي؟.

فلذا من عرف الله فإنّه لا يعصيه، ومن عرف زينب فإنّه يتأدّب في حضرتها بخشوع، فبالحبّ تكون الطاعة، وحبّ مجنون ليلى كان مجازياً، ومن طريف ما يحكى أنّه كتب على أرض الصحراء اسم ليلى، فلمّا سئل عن سبب ذلك؟ أجابهم: أسلّي قلبي بذكرى ليلى، وهكذا يفعل الحبّ المجازي بأهله، فكيف بالعشق الحقيقي وهو عشق الله سبحانه، ومن أنس به استوحش من الناس، ولهج لسانه بذكره:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

فإذن إذا علمنا وزهدنا وصبرنا أطعنا حقّاً، وزادنا الله عصمةً، ومثل زينب الحوراء عليها السلام التي وصلت إلى مقام الفناء في الله كما يشهد لها قولها في جواب ابن زياد اللعين: كيف رأيتِ صنع الله؟ فقالت عليها السلام: (ما رأيت إلاّ جميلاً)، ولا يقول هذا إلاّ

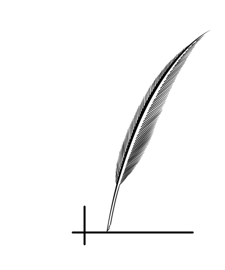
(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

العارف الفاني في إرادة الله وحبّه، فترى شهادة إخوتها الكرام من الله صنعاً جميلاً، وإن كان من بني أميّة ويزيد الطاغية ظلماً وعدواناً، فمثلها كيف لا تكون معصومة؟!

كيف لا تكون معصومة وقد صبرت حتّى عجز الصبر عن صبرها؟! وهل يمكن لغيرها أن ترفع جسد أخيها الإمام الحسين في عصر يوم عاشوراء وهو مقطّع بالسيوف والرماح والسهام وتقول: اللهّم تقبّل هذا القربان من آل محمد؟!.

كيف لا تكون معصومة وإمام زمانها زين العابدين عليه السلام يقول في حقّها: أنتِ بحمد الله عالمة غير معلّمة؟ فلا ريب ولا شكّ في أنّها معصومة، إلاّ أنّ عصمتها عصمة أفعالية تختلف عن عصمة أمّها فاطمة الزهراء عليها السلام، تختلف عن عصمة الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام.

اللهّم نسألك بعصمة الأنبياء والأولياء وبعصمة زينب الحوراء اغفر لنا فيما مضى من حياتنا واعصمنا فيما بقي من عمرنا، آمين ربّ العالمين.



زينب الكبرى عليها السلام

زينة اللوح المحفوظ[1]

الحمد لله الذي زيّن الإنسان بالعلم، وعلّمه جوامع الكَلِم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله زين الكائنات وفخر الممكنات محمّد وآله الأطهار نور الأخيار وزينة الأبرار.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

البيّنة في مصطلح الفقهاء بمعنى الشاهدين العدلين على واقعة في مقام الشهادة تحمّلها وأدائها، وهذه تسمّى بيّنة شرعيّة وتشريعية، وفي الكائنات بيّنات تكوينية، ومن كلّ شيء خلق الله زوجين ليشهدا على وحدانية الله سبحانه وتعالى، ففي كلّ شيء له آية وبيّنة يدلّ على أنّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) محاضرة إسلامية ألقاها الكاتب في حسينية النجف الأشرف بقم المقدسة ليلة ميلاد السيدة زينب الكبرى عليها السلام في احتفال بهيج (٥/جمادى الأولى/سنة ١٤١٩هـ).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

وقصّة عاشوراء والطف الحزينة، إنّما هي وليدة الزوجين الزكيّين الطاهرين العلويّين الفاطميّين مولانا الإمام الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليهما السلام، وسيّدة بني هاشم، عقيلة الطالبيين سيّدتنا زينب الكبرى سلام الله عليها.

فعاشوراء الإسلام محلّ ولادتها كربلاء الصامدة، أبوها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ومربّيتها المجاهدة الثائرة زينب الطاهرة، لولاها لكانت عاشوراء اليتيمة تموت في صغرها، إلاّ أنّ السيّدة زينب بنضالها وندائها الثوري عليها السلام ربّت عاشوراء تلك الوليدة التي يجري في عروقها دم الله وثاره، فتربّت عاشوراء الحسين في أحضان زينب عليها السلام وترعرعت في جوارها وحجرها المبارك وجهادها الدؤوب، لتكون عاشوراء أمّ الثورات التحرّرية بين الأجيال في كلّ عصر ومصر، إلى يوم القيامة، فهي المنطلق الثوري للنهضات الإسلامية إلى اليوم الموعود.

ولا يمكن لأحد سوى الله سبحانه والأنبياء والأوصياء عليهم السلام أن يعرفوا مقام أمّ عاشوراء ومنزلتها في الدارين، فإنّ المعرفة والعلم بالشيء لازمه الإحاطة به، ولا يمكن للناس أن يحيطوا بعاشوراء وجوهريّتها وفلسفتها، ولا بأبيها وأمّها.

وزينب الكبرى في أدوار حياتها وسيرتها الذاتية[(١)] تخبرك عن أصالة سماويّة وشجرة نبويّة ودوحة هاشميّة وترجمة قرآنيّة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهي زينة أبيها أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنّه لم يفتخر بكتابه العظيم (نهج البلاغة) الذي هو كتاب الحياة وكتاب السعادة ولا يمكن للبشر أن يعرفوا ما فيه من العظمة والشموخ، إلاّ أنّه يفتخر ويتزيّن ببنته السيّدة زينب عليها السلام.

ولولا الخوف على عقول الناس، لقيل في مدحها وثنائها ومعرفتها ما يبهر العقول، ويحيّر ذوي الألباب، وقليل من عبادي الشكور الفكور الصبور.

---

(١) لقد ذكرت حياتها ولقطات من سيرتها المباركة في كتاب (عبقات الأنوار)، مطبوع، فراجع.

وما زالت زينب النبوّة والإمامة، زينب الولاية العظمى أسيرة الهوى، بالأمس كانت أسيرة الظالمين من بني أميّة الطغاة وأشياعهم، واليوم أسيرة العقول الضعيفة، حتّى قالوا عنها: إنّها امرأة عاديّة؟!!.

فما نطقت في معرفتها حرفاً، إلاّ وتجد نفسك مقيّداً بسلاسل الافتراء والتهمة وأنّ القائل من الغلاة، فزينب العظمة ما زالت أسيرة العقول والأفكار المتخلّفة.

ولا نقول في وصفها وثنائها أنّها الربّ ـ والعياذ بالله ـ ولكن نقول: هكذا خلقها الربّ جلّ جلاله.

إلاّ أنّ الناس بين قالٍ وغال، بين إفراط وتفريط، فكما غالوا في أبيها حتّى قالوا بألوهيّته ـ والعياذ بالله ـ وقالوا في حقّه حتّى جعلوه كافراً أو كأحد المسلمين، وما زال علي أمير المؤمنين سيّد المظلومين، قد ظلمه التأريخ كولده الحسين، بل وأولاده وذرّيته.

وما زال صوته الحزين يدوّي في ضمير الإنسانية:

(فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع قدمي).

(أنزلني الدهر حتّى قالوا علي ومعاوية).

وهذه الصرخة الأليمة تسري في كلّ الأزمنة وعلى مدى العصور والأحقاب، حتّى قال ابن أبي الحديد المعتزلي في بيان مقولة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه: (أطلق القول إطلاقاً عاماً مستغرقاً، لكلّ الناس أجمعين).

ولا يزال علي المرتضى مجهولاً، ولا يزال كلامه القيّم يهتف: (سلوني قبل أن تفقدوني)، وإنّه لا يختصّ بالمسلمين بل هو للبشرية كافة كأخيه النبيّ الأعظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

وعلي أمير المؤمنين نفس رسول الله بنصّ آية المباهلة، فظلموه وهو يقول:

«أللهم إني أستعيذك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم صغّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»[١].

وهكذا ظلموا علياً وظلموا أولاده، وظلموا زينب بجهلهم بمقامهم الشامخ ومنزلتهم العظيمة.

ولابدّ من حياة جديدة لضمير المجتمع الإسلامي، حتّى يعرف عليّاً وأبناءه الكرام.

حتّى يعرف النبيّ محمّداً وقرآنه، وعلياً ونهجه، وفاطمة ومظلوميّتها، والحسن وسياسته، والحسين وثورته، وزينب وعاشوراءها، والسجّاد وصحيفته، وهكذا حتّى يعرف المهدي الموعود وفلسفة الانتظار ودولته العالمية.

كلّ هذه المعرفة إنّما تتمّ بالإيمان بالله سبحانه والعشق بعظمته، وجماله المتجلّي في الكائنات والتعبّد والتسليم لأمره.

وما نعرفه من زينب اليوم ليس إلاّ شبحاً من قدسيّتها وعظمتها، ومن الواضح أنّ الشبح لا يعطي معرفة تمام الشيء وحقيقته.

ثمّ أعداء الإسلام عرفوا أنّ الهجوم العسكري على البلاد الإسلامية لتهديم عقائد المسلمين لا ينفع أو لا يكفي، بل لابدّ من الهجوم الثقافي من الغرب والشرق، بل لابدّ باسم الدين ضرب الدين، وباسم المذهب هدم المذهب من أساسه، حتّى تفقد الأمّة أصالتها ومجدها العريق ومعتقداتها الصحيحة، فتركن إلى الغرب أو الشرق، مستجدية متسوّلة متسكّعة. وهذا ما يريده الاستكبار العالمي، فتسمع بين آونة وأخرى نغمات ضدّ المعتقدات الدينية والضرورات المذهبية، والعجب أنّه من لسان رجال الدين والمتلبّسين بزيّ أهل العلم!!.

---

(١) منهاج البراعة، للخوئي: ١٠، ١٢٨، الخطبة، ١٧١.

وأمّا زينب الإسلام فقدرتها تعني حكومة الأخلاق والفداء والتضحية، وتربيتها تعني الحبّ والعشق الإلهي والذوبان في الله جلّ جلاله، وثقافتها تعني سلامة الفطرة وحكومتها في كلّ مجالات الحياة على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

والعشق الإلهي[1] المتجلّي في ثورة عاشوراء إنّما هو شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها، ثمرتها العصمة، وورقها الإخلاص، وجذورها الطهارة، ودوحتها الجمال، وبهاؤها الجلال.

والعشق إنّما ينبع من سويداء القلب، والقلب حرم الله وعرش الرحمن، والفطرة إنّما تدعو القلب إلى أن يعرف صاحبه ومالكه وهو الله سبحانه، إلاّ أنّ هذا الشيطان الرجيم يسرق بيت الله، وهو قلب المؤمن فإنّه حرم الله وعرشه، فيسرقه ويعشعش فيه ويبيّض ويفرّخ، فيكون عشّ الشيطان وأبنائه وأعوانه وحزبه، فيتنزّل القلب ويعصي الربّ، حتّى ينتكس، فلا يكون وعاء للرحمة الإلهية وعلم الله سبحانه، ثم يموت القلب، فيفقد الإنسان إنسانيّته، فيكون كالحجارة أو أشدّ قسوة، كالأنعام بل أضلّ سبيلاً. وكربلاء الحسين وزينب عليهما السلام إنّما هي مصارع العشّاق، كما قالها أمير المؤمنين علي عليه السلام حينما جاوز كربلاء:

«هاهنا مصارع العشّاق».

وعاشوراء الحسين وزينب عليهما السلام إنّما هو كتاب العاشقين الوالهين في حبّ الله وجماله. وزينب بطلة كربلاء، معلّمة العشق الإلهي جيلاً بعد جيل، ترفع إلى السماء جسد أخيها المضرّج بالدماء، محزوز الرأس، مهشّم الأضلاع، وتقول بكلّ سكينة ووقار: (اللّهم تقبّل هذا القربان من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) عظمة الإنسان إنما هي بنفسه الناطقة ـ القوة العاقلة ـ القابلة للتحلي بالصفات الكمالية والملكات الجمالية بالفطرة السليمة المباركة والعقل الدراك السليم.

ومن يعشْ في رحاب زينب العشق يمتلئ قلبه شوقاً للقاء معبوده جلّ جلاله، فيكون لسانه ميزان الحكمة، ويده مائدة الكرام، ويحيا بعشق الله، ويرجع القلب إلى مالكه الأصلي التكويني والتشريعي، كلّ هذا ببركة رسالة زينب الرسالية، رسالة الدم والدموع، رسالة المقاومة والفداء.

زينب الكبرى عقيلة بني هاشم أمّ المصائب وقرينة النوائب، العصمة الصغرى والناموس الأكبر، محبوبة المصطفى وزينة المرتضى وشقيقة المجتبى وشريكة الحسين سيّد الشهداء.

زينب الإنسية الحوراء بنت سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، نتيجة النبوّة المحمّدية وحصيلة الولاية العلوية، وآية العصمة الفاطمية، ومرآة المحاسن الحسنيّة، وانعكاس المصائب الحسينيّة، لقد بلغت في المجد غاية حدّها.

والعصفور بقدر همّته يصفق جناحيه ليحلّق في السماء، فما نقول في زينب الحرّة إلاّ ما نفهمه بعقولنا القاصرة.

فزينب الدين رضيعة ثدي الرسالة، ربيبة العلم والبسالة، من أنوار المحشر بنت ساقي الكوثر، سيّدة البطحاء خلاصة الخمسة النجباء، مليكة العرب.

فلو كان النساء بمثل هذي ... لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث عيب للشموس ... ولا التذكير فخر للهلال

ومن ألقابها العلياء وخصائصها السمحاء[1]:

---

(١) جاء شرح هذه الخصائص وبيانها في كتاب (الخصائص الزينبية) لآية الله العظمى السيد نور الدين الجزائري الحائري المتوفى سنة ١٣٨٤هـ.ق. وقد ترجم إلى اللغة العربية، كما صححه أولا: م ق تاج الدين وطبع من قبل مكتبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وصححه وعلق عليه أيضا الفاضل المعاصر الشيخ ناصر الباقري البيد هندي وطبع بطباعة جيدة من قبل مسجد جمكران بقم المقدسة.

الصدّيقة، العصمة الصغرى، وليّة الله العظمى، ناموس الكبرى، الراضية بالقدر والقضاء، أمينة الله، عالمة غير معلّمة، فهِمة غير مفهّمة، محبوبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قرّة عين المرتضى عليه السلام، نائبة الزهراء عليها السلام، شقيقة الحسن المجتبى عليه السلام، شريكة الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، الزاهدة، الفاضلة، العاقلة، الكاملة، العاملة، العابدة، المحدّثة، المخبرة، الموثّقة، كعبة الرزايا، المظلومة، الوحيدة، عقيلة قريش، الباكية، الفصيحة، البليغة، الشجاعة، عقيلة خدر الرسالة، رضيعة ثدي الولاية، روحي وأرواح العالمين لها الفداء.

يكفيها شرفاً وفخراً شهادة إمام زمانها سيّد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، حيث قال:

«بحمد الله إنّكِ عالمةٌ غير معلّمة، وفهِمة غير مفهّمة».

وهذا ممّا يدلّ على عصمتها، فإنّ العصمة عن الذنوب والمعاصي وكلّ ما يشين ويزري بالإنسان إنّما يكون بالعلم، بأن يعلم منشأ الذنوب، وأنّها تصدر من الجهل والظلمة، كما يعلم نتائجها وآثارها، من الآثار الوضعيّة في الدنيا والعقاب الأخروي، وهذا العلم يكون بلطفٍ خاصّ من الله سبحانه في الأنبياء والأوصياء وفاطمة الزهراء عليها السلام، فهم معصومون بعصمة ذاتيّة كلّية، تمنعهم عن المحارم اختياراً لا على نحو القهر والجبر، وفي غيرهم ممّن يحذو حذوهم وينهج منهجهم ويرثهم في علومهم ومعارفهم وأخلاقهم، يعصمون أنفسهم بعصمة أفعاليّة كسبية جزئيّة، فمثل الشهيد علي الأكبر عليه السلام والسيّدة زينب الكبرى وفاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر بقم المقدّسة يحملون هذه العصمة.

فسيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام هي العصمة الكبرى، والسيّدة زينب عليها السلام هي العصمة الصغرى، لأنّها عالمة غير معلّمة، فعلمها من الله سبحانه، يعصمها من الآثام

والقبائح، فهي تنوب أمّها الزهراء عليها السلام في فضائلها وفواضلها وخصالها وخصائصها وعصمتها وعفّتها ونورها وشرفها وبهائها، فكانت تنطق بالحكمة والعلم والأدب والمعرفة والعصمة من محاسن خلالها، فلم يُرَ أكرم منها أخلاقاً ولا أنبل فطرةً ولا أطيب عنصراً ولا أخلص جوهراً في النساء بعد أمّها سيّدة نساء العالمين.

فهي مجمع الفضائل ومنبع المكارم، حازت من الصفات الكريمة والسجايا الحميدة ما لم يحزها بعد أمّها أحد حتّى حقّ أن يقال: هي الصدّيقة الصغرى، فهي في الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى يضرب بها المثل الأعلى، وخير شاهد حياتها الطيّبة وسيرتها الذاتيّة المباركة ورباطة جأشها في قصّة كربلاء ويوم عاشوراء.

إنّ المقامات العرفانية الخاصّة بزينب عليها السلام تقرب من مقامات الإمامة، فإنّها لّما رأت حالة زين العابدين عليه السلام حين رأى أجساد أبيه وإخوته وعشيرته وأهل بيته على الثرى صرعى مجزّرين كالأضاحي وقد اضطرب قلبه واصفرّ وجهه، أخذت عليها السلام في تسليته تصبّره قائلةً: (ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي، فو الله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنَ أئمة الكفر وأتباع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ علوّاً)[1].

وقد ائتمنها الإمام على أسرار الإمامة، وهذا يدلّ على عصمتها، كما لم يذكر التأريخ رغم كثرة أعداء أهل البيت عليهم السلام ما يشين بها وينقص من شأنها ويبطل عصمتها، فهي بنت الوحي وربيبة الرسالة، تربّت في مدرسة الرسول الأعظم وأمير

(١) كامل الزيارات: ٢٦١.

المؤمنين وسيّدة نساء العالمين وسيّدي شباب أهل الجنّة عليهم السلام ، ومن تعلّمت في مثل هذه المدرسة الإلهيّة كيف لا تكون معصومة في أفعالها وحياتها؟! فسلام الله عليها أبد الآبدين، من بدء الخلق إلى يوم الدين.

ومن خصائصها: حملتها أمّها كرهاً ووضعتها كرهاً، كإخوتها عليهم السلام ، فالزهراء من حين حملها إلى يوم ولادتها كانت مهمومة، وقد أخبرت من قبل بمصائبها، وما يجري عليها من الآلام والمحن.

روي أنّ زينب بن علي بن أبي طالب عليه السلام لّما ولدت أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء إلى منزل فاطمة عليها السلام وقال:

«يا بنتاه، إيتيني ببنتك المولودة».

فلمّا أحضرتها أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضمّها إلى صدره الشريف، ووضع خدّه المنيف على خدّها، فبكى بكاءً عالياً، وسال الدمع على محاسنه الشريفة جارياً، فقالت فاطمة:

«لماذا بكاؤك، لا أبكى الله عينيك يا أبتاه؟».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بنيّة فاطمة، اعلمي أنّ هذه البنت بعدك وبعدي تبتلى بالبلايا، وترد عليها مصائب شتّى ورزايا».

فبكت فاطمة عليها السلام عند ذلك، ثم قالت:

«يا أبَه، فما ثواب من يبكي عليها وعلى مصائبها؟».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بضعتي وقرّة عيني، إنّ من بكى عليها وعلى مصائبها كان ثواب بكائه كثواب من بكى على أخويها».

ثمّ سمّاها زينب[١].

وزينب اشتقّ من زَنِبَ ـ كفَرِح ـ بمعنى السمن، وسمن كلّ شيء بنسبته، فسمن الحيوان بمعنى كثرة لحمه، وسمن النبات بمعنى نظارته وكثرة ثمراته، وسمن الإنسان بمعنى حمله صفات الكمال والجمال.

أو زينب بمعنى الشجرة الطيّبة الحسنة الصورة، أو بمعنى زين أب، ولكثرة الاستعمال أسقط الألف، وعند بعض أهل المعرفة إنّما أسقط الألف لعدم الفصل بينها وبين أبيها، فزينب زينة أبيها أمير المؤمنين بكمالاتها وخصائصها وخصائلها.

وأبوها أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام إنّما هو زينة الكون، وزينة الوجود وما خلقه المعبود، فزينب زينة الزينة لهذا العالم الرحب، وكانت كأمّها الزهراء (أم ابيها) فصارت (زينة أبيها) ورثت أمّها في عصمتها وعلومها ومصائبها.

والأسماء تنزل من السماء، إلاّ أنّ الله قد شرّف بعض أوليائه وأنبيائه أن سمّاهم بنفسه، كآدم ويحيى.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾[٢].

---

(١) الخصائص الزينبية: ١٥٥. وعندنا روايات كثيرة في فضل البكاء على سيد الشهداء عليه السلام، فقد ورد في الصحيح: من بكى أو تباكى على الحسين فقد وجبت له الجنة، وقال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل له: «ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عز وجل، ولم يرض له بدون الجنة». وورد أن الحسين عليه السلام على يمين العرش ينظر إلى زواره، وإنه ينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: «أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت، وإنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة». وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (كامل الزيارات: ٢٠١، الباب ٣٢).

(٢) سورة مريم، الآية: ٧.

وعيسى المسيح:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى﴾[١].

والنبيّ الأكرم:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[٢].

وعلي اشتقّ من العليّ والحسن والحسين وزينب الكبرى.

كما ورد في الخبر الشريف عندما قدّمت فاطمة بنتها إلى زوجها أمير المؤمنين ليسمّيها فقال: لا أسبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولّما كانت بين يدي الرسول لم يسمّها لكي لا يسبق الله سبحانه، فنزل جبرئيل الأمين وقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول: سمّها زينب، كما سمّيت في اللوح المحفوظ.فزينب زينة اللوح المحفوظ، كما أنّ أباها أمير المؤمنين علياً عليه السلام زينة عرش الله.

يا رب جوهر علم لو أبوح به — لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا

رضينا قسمة الجبار فينا — لنا علم وللأعداء مال

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الصف، الآية: ٦.



فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود

الخصائص الفاطمية

عصمة الحوراء زينب عليها السلام

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار أخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم ـ بحث إستدلالي	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي

١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت	السيد محمد حسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي